

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران – السانبة

كلية الآداب، اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة بعنوان

صوتيات التصريف في فتح اللطيف لأبي حفص الزموري

إعداد الطالبة: المشرف:

بويش نورية الأستاذ الدكتور: مكي
درار

السنة الجامعية: 2011 - 2012

المقدمة

تعتبر اللغة العربية من أحسن اللغات لما حظيت به من مكانة. كونها لغة القرآن الكريم. الذي جعل الاهتمام بها على مر العصور من الباحث اللغوي، الذي لم يتوانى في دراستها حتى يومنا هذا. منها الدراسة في مستوياتها؛ الصوتي والتصريفي. و التركيبي و البلاغي.

و نظرا لأهمية هذه اللغة، و مكانة مستوياتها؛ كان اختياري لمشروع " الصوتيات و العروض و موسيقى الشعر". ووجهت بحثي إلى المستويين الصوتي والتصريفي منها. و ذلك لأن مشروع البحث يوجه العمل و يحدّد معالنه و أبعاده؛ و من ثمة، اتجه نشاطي إلى العمل التصريفي في كتاب فتح اللطيف في التصريف للسط و التعريف لأبي حفص الزموري، ليكون التعامل مع مجموع ما في فتح اللطيف بالوصف، و التحليل و الاستنتاج و الرأي.

وانطلاقا من هذا الأساس كان إعدادي لهذا البحث الذي يهدف إلى المساهمة في خدمة اللغة العربية الموسوم ب" صوتيات التصريف في فتح اللطيف

عند ابي حفص الزموري (ت 1990)، الذي شرح فيه منظومة المكودي (ت 807هـ) في التصريف و المسماة " البسط و التعريف".

ومن بواعث اختياري للدراسة اللغوية في الجزائر؛ هو التعرف على زمان ظهورها و مكان تعليمها و موادها التعليمية مع المقارنة بين مؤلفيها و غيرهم ممن سبق، و طرائق تعليمها و تقنيات تبليغها، ومدى تحقيقها للأهداف. هذا ما سيندرج ضمن عملي اللغوي المتعدد المراحل، و الأبعاد.

أ

وان كان الدرس اللغوي العربي، أينما وجد في عصرنا، لا ينتظر منه أن يأتي بجديد في المادة اللغوية باعتباره مجرد تبسيط و تحليل و شرح و تمثيل لما سبق، بقدر ما يرجى منه أن يقدم خطة تعليمية جديدة، تتصف بالوضوح في الرؤية، و الدقة في تحديد الهدف، مما يسهل تعليم اللغة العربية.

أما سبب اختياري للغة بعامة، و الصوتيات و التصريف بخاصة؛ فذلك لاهتمامي الشديد بلغتنا العربية، و أن التصريف يمثل المستوى الأساس للدراسة اللغوية ليأتي بعده المستوى التصريفي الذي يكمل بعضهما الآخر، فالتصريفي يأتي بعد المستوى الصوتي، لكل دراسة لغوية؛ ما دامت اللغة أصواتا معبرة موحية ودالة. كما أن التصريف باعتباره يتجه إلى المفردات، على مختلف أصنافها، فهو أساس كل المباني اللغوية.

أما اختيار ي لفتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف، ميدان تطبيق. ذلك أن مؤلفها جزائري، يتمتع بثقافة واسعة؛ في مجال اللغة و الفقه. و أن هذا الشرح يعد أحسن شرح لمتن المكودي . لطريقته المبتكرة الجديدة في التعامل مع أبيات المتن و حسن استغلاله لها و كيفية تبسيطه للمادة.

ومن أسباب ارتكازي عند هذا المؤلف، أن لغته تظهر منذ البداية بسهولة وبساطتها. إضافة إلى الطريقة الجيدة التي تسهل تتبع أقسام التصريف. ولتحقيق تصور البحث و أبعاده، اعتمدت في تحقيقه على منهجي الوصف

ب

والتحليل. مما يترتب عنهما البناء و الاستنتاج و الرأي. و تصورت عناصر البحث و مراحل انجازه في خمسة أقسام هي ؛ مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة. وأوجز الحديث عنها فيما يأتي:

في مدخل هذا البحث تحدثت عن الصرف و التصريف و الفرق بينهما ومن المتعامل به، و عن الصوت بتقديم مفهومه و استعمالاته و الصوتيات و معناها ثم انزوت للمؤلف و المؤلف بتقديمهما تقديمًا مفصلاً.

و في الفصل الأول، تحدثت عن الصيغة الحديثة، و قد رسمت لها جدولاً اشتمل على ستة مباني، وكان أول هذه العناوين للمباني؛ و يعد وادي المباني، أساس العمل و عموده في كل فصل، و سنجد مكرراً في كل جدول من هذا البحث وذلك أن كل ما يليه في الفصول مستوحى منه ومرتبط به.

و بقية عناوين جدول الحداثيات، بعد المباني؛ هو مكونات الصيغة الحديثة
ثم المادة و بعدها حركة العين على مختلف تشكيلاتها. وتحت هذه العناوين، تأتي
التقسيمات .

و خصصت الفصل الثاني للصيغة الذاتية الافرادية، و قد تكون جدولها من
: وادي المباني الذاتية؛ متبوع بجنس التذكير و التأنيث، بنوعيهما الحقيقي و
المجازي ثم العدد ، وقبل الأخير الإعراب بأقسامه و علاماته. لأخصص للتعريف
التنكير عنوانا في الأخير.

ج

وفي الفصل الثالث، بعد الذي سبق، التقيت مع الصيغ الوصفية بشقيها
المفرد و المركب. و جدولها مماثل في هندسته و عناوينه للصيغ الذاتية بوديانه
وخاناته، إلا انه يختلف عنه في طريقة التناول و الدراسة و التحليل.

فتعاملت في الدراسة مع صيغ افرادية حديثة، وذاتية، و وصفية ومعنى هذا
أن كل عدد من أعداد الجداول و الخانات؛ فيه فكرة، وهدف، واستنتاج. لتأتي
في الأخير الخاتمة، التي تعتبر مجموعة من النتائج تمثل انطباعات و استنتاجات عن
كل ما ذكر في البحث. و قائمة المصادر و المراجع و فهرس الموضوعات.

وان كان شأن البحث العلمي أنه لا يخلو من المتاعب و الصعوبات، فلعلي
أقول انه بحمد الله كانت قليلة بالنسبة لبحثي هذا. ومن هذه الصعوبات أن
كتاب فتح اللطيف و على الرغم من غزارة مادته الصرفية و الدراسة الصوتية ، و

حاجتها إلى كثير من التمعن و التدقيق. فلم أجد الصعوبات في التعامل مع مادته و تحليلها تحليلا صوتيا. وحتى المصادر و المراجع لم تكن فقيرة في بحثي.

و الحمد لله الذي يسر لي طريق البحث في هذا البحث، فوجود المصاعب يخلق التحدي و المواجهة. فمشكلة المصادر و المراجع لم تعترض طريقي بفضل مكتبي الخاصة التي وفرها لي الوالد الكريم، و بفضل ما جاد به علي الأستاذ المشرف، الذي لم يتوان في إمدادي بما يخدم البحث .

د

كما أتقدم بالشكر و الامتنان إلى إدارة قسم اللغة العربية و آدابها لعنايتهم، وأثني بالشكر على أسرتي التي وقفت بجاني،و كل رفاقي في المشروع. و زملائي في العمل. و الشكر كل الشكر لوالدي الكريم الذي كانت عنايته ترعاني إلى يومنا هذا و الذي لولاه لما وصلت إلى هذا المستوى و لولاه لما كنت أنا .

وفي ختام هذا التقديم، أتمنى أن يحظى عملي بالقبول من أعضاء لجنة المناقشة الكريمة، وكل من يطلع عليه. والكلمة الأخيرة أخصها بشكري لأستاذي

المشرف رئيس المشروع الأستاذ مكي درار الذي ساعدني بالنصيحة و الطريقة
والكتب. فجزاه الله عني كلّ خير، و أحسن جزاء.

و ختاماً، أسدي شكري؛ إلى كلّ أعضاء اللجنة العلمية الفضلاء. الذين
تكرموا على بوقتهم الغالي لأجل قراءة هذا البحث ليقدّموا لي خلاصة ملاحظاتهم
و توجيهاتهم. و إني لأعدهم أني بأخذ كلّ الملاحظات و التوجيهات بعين
الاعتبار، و اعمل بها و الله ولي التوفيق

الطالبة

بويش نورية

و

المدخل

صوتيات التصريف في فتح اللطيف

الصوت ظاهرة فيزيائية علمية عملية إنسانية، وبالتحديد والتوظيف، يكون الصوت مدركا سمعيا، ومفهوم علميا، وتوظيف إنسانيا؛ وفي مجال الدراسة اللغوية الإنسانية يعد الصوت أول المستويات، وتحتة مجالات وموضوعات، كل منها يحتاج إلى دراسة وتوضيح وتحليل وتعليل.

ويبقى جانب يستحق الإشارة إليه، والتنبيه عليه، وهو: أن الصوت باعتباره ظاهرة سمعية ينقسم إلى عدة أقسام، أولها الطبيعي، والاصطناعي، ومنهما ينبعث الفيزيولوجي بقسميه، الحيواني والإنساني؛ ي ثم ينقسم الصوت الإنساني إلى

قسمين أيضا، لغوي وغير لغوي،¹ ويتميز الصوت اللغوي من غيره بأنه هو ما كان منطلقه فكرا محملا بأفكار من مرسل إلى مستقبل.

ومن جانب علاقة الصوت بالإنسان، يكفي أن يكون الصوت أول ما يرسله المولود عند ظهوره في الحياة، مما يسمى صرخة الولادة، وأول ما يتلقاه المولود في حياته، هو صوت المؤذن في أذن المولود، وآخر ما يصدره الإنسان عند مغادرته للحياة، هو صوت الشهادة² ومن ثم فحياة الإنسان كلها محصورة بين صرختي الولادة والنطق بالشهادة وبينهما أصوات متكررة، متعددة ومتنوعة لا تحصى.

ومن هذه النظرة ، كان الصوت اللغوي أحق بالدرس والفهم والتوظيف أكثر من غيره مما يدرس ويفهم ويحفظ، وقد تنبه القدامى العرب وغير العرب في الدراسات العربية، إلى فائدة الصوت وجعلوه أساسا ومنطلقا لدراساتهم، وأن الدرس اللغوي العربي كان منطلقه صوتيا مع أبي الأسود، ثم أرسى قواعده الخليل وتلميذه سيبويه، ثم توسع في توظيفه كل من جاء من بعد هؤلاء.

وانتهى المسار بالدارسين إلى الإقرار بأن (نظام العربية الصوتي والصرفي يتشكل من الفونيمات في أصولها الثنائية والثلاثية والتفويج والتوزيع للأفعال

¹ - للتوسع في هذه التقسيمات يراجع، الباحث الصوتية في آثار العربية، مكي درار، ص، 3، مط، دار الأديب وهران، ط، 2، 2006م وينظر، المقرات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دراسة تحليلية تطبيقية، سعاد بسناسي، ومكي درار، مط، دار الأديب وهران، ط، 1، 2005م

² - ينظر، المحمل في الباحث الصوتية، من الآثار العربية، مكي درار، ط، 2، ص، 2.

والأسماء والصفات)³ وأن هذه المفاهيم والعناصر في تداخلها وتكاملها وتقابلها هي موضوع هذا البحث.

وكان أكثر ممن اهتم بالصوت اللغوي درسا وتوظيفا القراء، واللغويون، وعنهم أخذ الفنانون، والممثلون، والمذيعون حاليا، والقضاة والمحامون؛ ويمكن أن يقال إن الصوت هو الحياة ولا حياة بدون صوت، وإن كان فاقد البصر يمكنه أن يكون لغويا وشاعرا فإن فاقد السمع يستحيل علي ذلك.

وفي مجال الدراسات اللغوية يعد الصوت أساس كل المسويات والمجالات والموضوعات، لأن الصوت اللغوي أساسه الصائت مع الصامت (الحركة مع الحرف) ومنهما يتولد المقطع الذي هو الوحدة الأساسية الرئيسية في كل دراسة لغوية، ومن تأليف مقطع غيره تتولد أول وجهة كلامية فكري هي المفردة.

ومن هنا، تعد المفردة أساس الدراسات الحاملة للمعاني والأفكار كما تعد المفردة أول وحدة كلامية قابلة للتشكيل والتحليل والتنويع، وهذه العمليات سماها اللغويون صرفا وتصريفا، وهنا مفردتان متقاربتان نطقا، (صرف وتصريف) لكنهما مختلفتان معنى؛ وهذه أول وظيفة من وظائف الدراسة الصرفية.

من ميزان هاتين المفردتين (فعل وتفعيل) وفي ما بينهما من فروق في التشكيل، أساسها إضاقلت وتحويلات، وهذه _____ الإضافات

³ - علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل ص، 381، مط، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط، 1، 2002م

والتحولات _____ هي عينها ما يسمى تصريفاً، ومن هنا، يكون الصرف علماً، والتصريف عملاً، ويقترّب من ميزان المفردتين وزنان آخران هما: (الصوت والتصويت) فالأول علم والثاني عمل، ويمتد مفهومهما الصوت والتصويت الوظيفي، إلى مفردة جديدة متولدة منهما، تسمى الصوتيات، وهي توظيف الوحدات الصوتية في المباني الإفرادية والتركيبية، وهذه الفكرة قد نعود إليها في موضعها من هذا البحث بحول الله.

بين الصرف والتصريف

بعد عرض المصطلحين و تصفح عناوين الموضوع في مظانها، وجدتها باسم التصريف غالباً مما يرجح تداول هذا المصطلح (التصريف) كثيراً عند القدماء، الذين اتخذوا التصريف علماً للعلم الذي يدرس بنية الكلمة، على النحو الذي ذكرناه آنفاً.

ولعل أكثر من جمع مجالات الدراسة الصرفية في عدة عناصر وموضوعات، هو صاحب كشف الظنون، حين تحدث عن الصرف بقوله: (هو علم يعرف منه أنواع المفردات، الموضوعة بالوضع النوعي، ومدلولاتها، والهيئات الأصلية العامة للمفردات، والهيئات التغيرية، وكيفية تغييرها عن هيئاتها الأصلية، على الوجه الكلي بالمقاييس الكلية)⁴ ويظهر في هذا النص أنه انطوى على ست مراتب مهمة في التعلّل مع المفردة العربية التي جعلها النص السابق لهذا منحصرة في الأفعال والأسماء والصفات⁵ مع أن هناك تشكيلات إفرادية لم تدرج في المجال

⁴ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ج، 2، ص، 101، مط، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط، 1، 2007م

⁵ - علم اللسانيات الحديث، عبد القادر عبد الجليل، ص، 381.

الصرفي وهي الأدوات ذات الثلاثة عناصر في مثل (لكنّ وكأَنَّ) وما جاراهما في عدد المكونات.

هذا في مجمل الآثار العربية، وإذا انتقلنا إلى حديث الشيخ الزموري في الموضوع، فسنجدّه وقف عند الصيغة الثانية (التصريف) وانطلق منها، لأنه بصدّد الحديث عن موضوع تحت هذا العنوان، وفي الحديث عن هذا العنوان نوع وفصل ومثل، وقد ساق عنه مقدّم الكتاب أنه قال في موقع هذا العلم (إن علم التصريف من علوم العربية الاثني عشر)⁶ وذكرها في بيتين شعريين، وفي وظيفته قال: (هو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست إعرابا ولا بناء، وموضوعه الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة)⁷ المتغيرة.

والمتغير المقصود بالدراسة الصرفية أنواع منه: تغيير العناصر التي هي صوامت، تغييرا ذاتيا مما يعرف بالقلب والإبدال، أو تغيير موقعي، وهو ما يعرف بالتقديم والتأخير، أو تغيير في الصوائت، وهو كالصوامت ذاتي وموقعي، ويضاف إلى ذلك تغيير تشكيل كالتنوين، والجميع يندرج تحت ملاحظات صوتية منطوقة تحولت إلى منظورة بالتسجيل.

ويهمنا هذا المنظور الصوتي الذي جاء فيه أن (موضوعه _____ أي التصريف _____ الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة)⁸ وهنا

⁶ - فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، عمر الزموري، ص7، إعداد: مهري المولود، مط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1991م.

⁷ - نفسه، ص7.

⁸ - نفسه، ص7.

يظهر أن التصريف الذي هو تغيير موضوعه محصور في موضوعين من المتغيرات: أسماء وأفعال، وهما معا ينتميان إلى المستوى اللساني الثاني وهو مستوى الأفراد.

والمحصور في المستوى الإفرادي هو التغيير الذي يلحق الصوائت أولاً، (الأسماء الممكنة) والتمكن ثلاثة أنواع: متمكن أمكن، وهو الذي يقبل الحركات الثلاث، (الرفع والنصب والجر) ويسمى المنصرف. ومتمكن غير أمكن، وهو الذي لا يقبل الجروالتنوين؛ (ويسمى الممنوع من الصرف) وغير متمكن وغير أمكن؛ وهو الملازم لحال واحدة ويسمى (الجامد)⁹ وفي الجميع تراعى مواقع الصوائت ووظائفها وتعد المنطلق لتحليل ظواهر التغيير في الشكل المؤدي إلى تغيير المعنى.

وفي هذا قال الصرفيون: (كل تغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى) وإن كان هذا منطلقهم ورأيهم فلنا تحفظ عليه سنبيهه في موضعه من هذا البحث بحول الله. ويهمنا موقفهم من علاقة الشكل بالمحتوى؛ والشكل صوامت وصوائت. وهما العاملان الأساسيان في كل تغيير وتنويع، و يجهود الشيخ الزموري إلى موضوع التصريف مرة أخرى مؤكدا ما قاله من قبل بقوله (التصريف و قواعد كلية تعرف بها صيغة الاسم المعرب — الكامل التغيير — والفعل غير الجامد القابل للرفع والنصب — وتغييرهما لغرض معنوي أو لفظي)¹⁰ والحقيقة أن مصطلح التصريف أنسب لموضوعنا

⁹ - للتوسع في هذه الفكرة ينظر كتاب سيوبه، ج، 1، ص، 16، تح، عبد السلام محمد هارون، مط، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط، 1، 1966م.

¹⁰ - فتح اللطيف، ص، 46.

هذا من غيره على الرغم من تماشي الصرف لفظا ووزنا مع النحو كما رأينا،
لأسباب عديدة منها:

- صيغة التصريف هو مصطلح أكثر شيوعا و تداولاً في الوسط اللغوي.
- إن صيغة التصريف تتلاءم مع الموضوع. فهي تفيد التفعيل من صيغ المبالغة على عكس الصرف الذي من معانيه الإبعاد والتنعية. فهي في الأصل تصريف من صرف — بتشديد الراء — دلالة على قذف ويعرف ذلك من الجمع.

ولا شك أن الموضوع يتطلب تفعيلاً و استخداماً، مما يجعل التصريف أنسب له واقرب، و بخاصة وان التصريف يتطلب سوابق ولواحق وحشواً، يليق بها لفظ التصريف.

-التصريف جزء من النحو و قسمه كما أن الصرف جزء من التصريف وليس بقسيم له، حيث نجد من أبواب التصريف فصولاً تحت عنوان الصرف من نحو الممنوع من الصرف، الميزان الصرفي. ولا يعقل أن نسمي الكل بالجزء. و إلا فان الخلط وارد، والتداخل محتمل.

و بين هذا و ذاك، فإن عمر بن أبي حفص الزموري الذي نعرف به،
استعمل التصريف حيث قال: (القول في مقدمات جامعته، في صنعة —
بكسر الصاد — التصريف فاعلم نفعه. (قول المكودي) (التصريف)

الذي هو تغيير بنية الكلمة لغرض معنوي أولفظي.¹¹ ومن هذا التعريف ، نجد الزموري لم يخالف من سبقه في نظرهم للتصريف.

والزموري من الشخصيات اللغوية الحديثة التي تحدثت عن موضوع التصريف في هذا المؤلف الذي نحن بصدد دراسته، وهو كتاب نفيس في هذا العلم، شرح لمتن المكودي. بالرغم من وجود شروح ودراسات قبله، إلا أن الزموري في شرحه هذا اعتمد الدقة و البساطة، ليسهل على الدارس الفهم والولوج في موضوع التصريف. فألف كتابه المسمى:

فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف

وقبل التعريف بالمؤلف نعرض على التعريف بالمؤلف، وذلك بتسليط الضوء على جوانب من حياته وستكون الانطلاقة من النسب والانتساب وفي نقول:

هو عمر بن أبي حفص بن محمد بن ابن جد بن محمد الحسيني الجزائري الإفريقي¹² وهو من ذرية الولي الصالح المشهور مقامه سيدي عمر العجيسي، وهو الجد الأعلى لعائلة الزموري. وقد اهتم بنقل سلسلة نسبه من شجرة الأجداد الموروثة، حيث أشار إلى أنه من قرية بوعزيز التي يوجد بها مقام الجد العجيسي، ويرجع نسبه لمحمد بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.¹³

¹¹ -فتح اللطيف، ص،52.

¹² - نفسه، ص،13.

¹³ - فتح اللطيف، ص،15.

مولده

ولد الزموري ،بشلغوم العيد القريبة من مدينة برج بوعريرج "14" بعيدا عن قرية أجداده زمورة، لأن والده كان معلما للقرآن بهذه المدينة.

نشأ الزموري يتيما. فتوفي والده وهو في السابعة من عمره، فكفله أخوه محمد، وابن عم والده علي ، حين تقاسموا الكفالة، فكانت في الغالب للأخ وتعليم القرآن لابن العم الذي حفظ عليه القرآن الكريم.

رحلاته

بعد استكمال حفظ القرآن الكريم في سن الثانية عشرة من عمره، تعلق قلبه بالبحث عن العلم "15" عرض عليه تولي منصب تعليم و تحفيظ القرآن الكريم، لكنه رفض رغم بساطة عائلته، و حاجتهم إلى ما كان سيحنيه من هذا العمل، لأنه كان متواضعا مقدرا لعظمة القرآن الكريم مع صغر سنه.

و تاقت نفس الشيخ إلى طلب العلم، و سماعه بعظمة الشيخ أحمد بن قدور المتوفى سنة خمس و خمسين، من القرن الرابع عشر للهجرة، فقد التحق بمجلسه وأخذ عنه ما أخذ من العلم، حين أعجب بالشيخ و بعلمه ليصرح الزموري (السيد أحمد بن الحسين بن قدور... من عائلة مشهورة بوراثة العلم، يحفظ مجموع المتون حفظا صحيحا... وكان دائما يطالع كتاب الإمام سيبويه رحمه الله تعالى. وبالجملة فهو في النحو والتصريف لا يجارى، بل في جميع العلوم. وهو مرجع العامة في قضاء الأوطار. فلما قام عندي فضله كنت أعظمه كلما لقيته...

¹⁴ - مدارج التصريف في فتح اللطيف، غانم خيرة، ص،24، رسالة ماجستير، جامعة وهران.

¹⁵ - فتح اللطيف، الزموري، ص،19.

ثم تعلمت عليه ما كان سببا في سعادتي، وإن كان قليلا، و كنت أحفظ متونا كثيرة من خطه... وتعاطيت التعليم بحياته و دعا لي."16

وقضى الزموري فترة التعلم على شيخه الأول سنتين، امتدت من 1932م إلى 1934م. هذه الفترة كانت كافية لبروز مواهبه و قدراته العلمية، مما جعل شيخه يخاف عليه من الحسد."17"وبعدما أجاز الشيخ أحمد بن قدور تلميذه، رحل الزموري لطلب المزيد من العلم.

تنقل الزموري في مناطق مختلفة من أرض الوطن، من أجل طلب العلم ولقاء رجاله، و التعرف بهم و الانتفاع منهم. فقصد عدة زوايا منها، زاوية سيدي حسن الطرابلسي بعنابة؛ التي زارها في بداية طلبه للعلم، فقد أقام بها، واشتغل فيها بالتدريس، مما جعل أواصر المحبة تنمو بينه و بين شيخها. لم اباتا يتناوبان على نشر المقالات و القصائد عبر صفحات جريدة البلاغ الأسبوعية."18

و في هذه الزاوية بلغه نبأ وفاة شيخه أحمد بن قدور، وكان ذلك سنة: 1936م مما جعله يشد الرحال نحو قرية أجداده زمورة، وهو حزين أشد الحزن على شيخه، راثيا إياه بقصيدة نشرتها جريدة النجاح."19"فأرجعت إليه إمامة

16 - فتح اللطيف، ص، 19. باختصار.

17 - أبواب الجنان و فيض الرحمن، ص، 22-23، دار الهدى الجزائر.

18 - ينظر: العلامة الشيخ المربي عمر أبو حفص الزموري، بلقاسم أبو محمد، ص، 23، دار هومة الجزائر.

19 - فتح اللطيف، ص، 19.

الجمعة بمسجد سيدي أحمد المذوب بزمورة خلفا عن شيخه، مع تكفله بالتدريس المجاني في منزله بعد تحويله إلى زاوية، مما جعل صيته يذاع في القرى المجاورة. ليقتبل عليه الطلبة من كل النواحي ، مما جعلهم يطلقون اسم جامع الزيتونة على زاويته.

في عام 1938م غادر عمر بن أبي حفص القرية طلبا للعلم، متجها إلى زاوية شلاطة بولاية بجاية، حيث كانت هذه الزاوية من أهم الزوايا، نظرا للمستوى العلمي بها. وشيخ هذه الزاوية هو الشيخ سيدي علاوة ، و بطلب منه ألف كتابه دليل الحاج؛ لنيته في الحج. وتحققت نيته وخرج للحج سنة: 1939م رفقة الشيخ عدة بن يوسف والشيخ دمياد العلوي.²⁰

في 1944م التحق بوادي الزناقي لممارسة التدريس على طريقة جامع الزيتونة نية منه للالتحاق بها. عاد بعدها إلى قريته زمورة لنشر العلم بها، ومكث بها حتى 1965م، حيث استدعي إلى العاصمة لإمامة مسجد براقي²¹ قرب الجزائر العاصمة، وغادره في السنة نفسها، متوجها إلى مسجد سيدي رمضان بحي القصبة العريق. الذي استقر به حتى التحق بالرفيق الأعلى سنة: 1990 م.

وفاة الشيخ الزموري

²⁰ - ينظر العلامة الشيخ الزموري، ص، 27.

²¹ - يوجد بين الحراش و الأربعاء.

رحل الشيخ الزموري بعد نحو خمس و عشرين سنة من العطاء . لملاقاة ربه، فحزن عليه طلبته وكل من عرفه، مما جعل الصحف الوطنية تكتب عنه وتعرف به في ما لا يقل عن ثمانين مقالا، باللغتين العربية و الفرنسية.²²

آثاره

ترك الشيخ أعمالا في عدة مجالات منها اللغة، و الأدب، و التفسير، والوعظ والإرشاد. البعض منها لم يطبع، والبعض الآخر من هذه الأعمال طبع و نشر منها:²³

- فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف، طبع بديوان المطبوعات الجامعية.

- من رسائل العلامة عمر بن أبي حفص (المجموعة الأولى)، طبع بديوان المطبوعات الجامعية.

- من رسائل العلامة الشيخ أبي حفص (المجموعة الثانية)، طبع بدار حواركم.

- فضل الدعاء و مطلوبيته، طبع بدار الهدى عين مليلة.

- أبواب الجنان و فيض الرحمان في الصلاة و السلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، طبع بدار الهدى.

- في رحاب المجالس النورانية، طبع بدار هومة.

- إضافة إلى القصائد الشعرية، و المقالات و دروس الوعظ و الإرشاد و التفسير التي كان ينشرها في الجرائد الوطنية (جريدة المساء، و مجلة العصر، و جريدة البلاغ، وغيرها).

²² - مدارج التصريف، غانم خيرة، ص، 28 .

²³ - مشايخ خالدون، و علماء عاملون، محمد بن إسماعيل، ص، 62، دار الهدى، الجزائر.

كتاب فتح اللطيف

يعتبر (فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف)، من أهم مصنفات الزموري، لأنه تناول علم التصريف الذي يعتبر من أهم العلوم اللغوية. فقد اقتحم مجال التصريف بكتابه الذي نحن بصدد دراسته، فقد أثبت بحق جدارته.

كان للشيخ الزموري من الشجاعة الأدبية، و الرصيد اللغوي؛ ما جعله يقتحم مجال التصريف، لدرايته بأسراره ، و نفور العلماء منه، وتفظنه لقلّة الاهتمام به في ذلك العصر، ما جعل الشيخ يشرح منظومة المكودي في التصريف. فقد تمنى الحصول على نسخة المنظومة التي كانت بحوزة شيخه أحمد بن قدور²⁴

فالزموري كان يحفظ المتن من هذه النسخة المكتوبة بخط شيخه مسجلا فيها إضافة على المتن نصوصا و تقارير تتعلق بالشرح. مما جعله يقرر خدمة علم التصريف، يشرحه لمنظومة المكودي، بتعمقه في المسائل و الشرح القيم الذي قدمه. بالإضافة إلى من سبقه في شرح هذه المنظومة من الدلائي، من المغرب، وعبد الكريم الفكون من الجزائر. إلا أن شرحيهما كانا وجيزا. ما جعل شرح الزموري شاملا و واسعا.

فرغ الزموري من تأليف (فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف) في مطلع الخمسينيات، لكن الظروف لم تسمح له بطبعه و نشره حتى بعد وفاته، فطبع سنة: 1991م بديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر.

غايته من التصنيف

لقد حرص الزموري على تحديد غايته من تصنيفه لفتح اللطيف. فربط عمله بغايتين: غاية اختيار المتن، و غاية الشرح. فالأولى متعلقة باختياره متن المكودي، في خدمة علم التصريف بتصريحه قائلًا: (وقد كنت أرى أن فن التصريف يحتاج إلى خدمته، وأن المتن وفي بكثير من أحكامه).²⁵

و الغاية الثانية، في اختياره لعلم التصريف، ربطها بفهم القرآن الكريم وفقهه، فيقول: (فإن مما يجب حفظه على الأمة الإسلامية القرآن العظيم... فيلزم أهل الإسلام فقهه وفهمه، الذي أراده المتزل الحكيم، وذلك لا يتم إلا بحفظ وسائله، التي هي أبواب لحفظ خزائنه... ومن ذلك حفظ علم العربية الذي هو لسان الرسول عليه السلام)²⁶.

نجد من الغايتين، أن الأولى وسيلة للثانية، ذلك أن خدمة التصريف لا تكون إلا لفهم القرآن الكريم، ليتم الحفاظ عليهما. كون معظم العلوم قامت كوسيلة للحفاظ على القرآن الكريم؛ كالبلاغة، و النحو على سبيل المثال لا الحصر، مما أثار اهتمام العلماء بهذه العلوم. فالزموري حدد غايته في بداية العمل.

محتوى كتاب فتح اللطيف

بنى المؤلف مصنفه على أساس علم التصريف باعتباره من أشرف العلوم، وأدقها، فهو في البداية يقارن بين التصريف و النحو قائلًا: (إذ هو متقدم بالذات

²⁵ - فتح اللطيف، ص، 20.

²⁶ - نفسه، ص، 24.

على النحو، لأن موضوعه جزء لموضوع النحو، فإذا وقع الخطأ في الكلمة زادها التركيب بعدا).²⁷

هذا دليل على أن الموضوع الذي اختاره الزموري من المواضيع الهامة، ومعلوماته لا تقل أهمية عنه. مما يجعل المقبل على مصنفه يستفيد من نواحي عدة، لما تحويه هذه المعلومات من مختلف المعارف. حين نجد المصنف يقدم بالإضافة إلى القواعد التصريفية؛ مفردات مشروحة، و قواعد الإعراب التي أعطاها أهمية بالغة، لعلاقتها بالشرح و فهم المعنى المقصود. بالإضافة إلى بعض العلوم التي استعان بها المؤلف في مناقشته و تعليقاته، كالقياس و المنطق.

تقسيمات الكتاب

أول ما يلفت الانتباه في مصنف الزموري، هو فصله لكل الموضوعات الصرفية. بتقسيم المتن إلى مجموعات من الأبيات، كل مجموعة تختص بباب من الأبواب مقسمة إلى فصول. بإضافته شيئا للمتن هو التبويب، وقدم شرحا للمتن في متناول طالب هذا العلم، و التقسيم الذي اعتمده الزموري هو على الشكل الذي سيأتي بيانه.

- المجموعة الأولى، تضم ستة و عشرين بيتا، خاصة بخطبة المتن، وهي طويلة قسمها إلى قسمين، الأول خاص بالحمد و الثناء. و الثاني خاص بالغاية من النظم.

- المجموعة الثانية، خاصة بحقيقة التصريف، تتضمن أربعة عشرة بيتا،

- المجموعة الثالثة، تضم عشرة أبيات، خاصة بالأبنية الأصول للأسماء.
- المجموعة الرابعة، تضم ثلاثة أبيات، للأبنية الأصول للأفعال.
- مجموعة أحرف الميزان و كيفية الوزن، تضم تسعة أبيات.
- مجموعة أدلة زيادة الحرف، تضم خمسة عشر بيتا.
- مجموعة الزوائد، تضم ثلاثة و ثمانين بيتا، قسمها قسمين الأول لزيادة التضعيف، والثاني لزيادة حروف سألتمونيها.
- مجموعة همزة الوصل، تضم أربعة عشر بيتا.
- مجموعة الإبدال و الإعلال، تضم مائة و سبعة و خمسين بيتا، وهي الأكبر قسمها على حسب الموضوعات المتضمنة.
- مجموعة القلب المكاني، وتضم أحد عشر بيتا.
- مجموعة تصرّفي الأفعال، وتضم ستة عشر بيتا.
- مجموعة البناء على بناء آخر، وتضم اثنين و عشرين بيتا.
- مجموعة الإدغام، تضم اثنين و عشرين بيتا.
- الخاتمة، من ستة أبيات.²⁸

المجموع يكون ثمانية أبيات و أربع مائة بيت، شرحها الزموري في ثلاثة عشر عنوانا رئيسا، تفرع بعضها لعناوين فرعية.²⁹ مخالفا بهذا التقسيم من سبقه من الشراح، حيث كان الشرح القديم يعتمد شرح المتون بيتا بيتا، كما هو الحال في شرح لامية الأفعال و الألفية لابن مالك.

²⁸ - فتح اللطيف، ص، 12 وما بعدها.

²⁹ - نفسه، ص، 57 وما بعدها.

كونه بالإضافة إلى هذا التقسيم، نجد الزموري قد اعتمد طريقة أخرى
أوتقسيمًا آخر يتخلل التقسيم الأول. مخالفًا به الطريقة التقليدية في شرح المتن،
و مطورا إياها. حين جعل كل موضوع يمر بمرحلتين، الأولى سماها بسطا و الثانية
سماها تعريفا.

مرحلة البسط اعتمد فيها على عرض الموضوع التصريفي، وتفصيل جوانبه
بالبحث و النقاش و التعليل، مع تقديم آراء العلماء فيه. معتمدا على ما في المتن
بإضافة بعض الشروح و التعليقات، مع الإكثار من الأمثلة.

مرحلة التعريف جعل الزموري الشرح فيها مرتبطا بالمتن، كونه لا يتعدى
تفسير مفردات المتن، من حيث المستوى المعجمي؛ بشرحه المفردات الغير مألوقة.
ومن حيث الإعراب لتسهيل مهمة فهم التراكيب. ثم المستوى التصريفي.
بالإضافة إلى التنبيه للنكت البيانية، و تصحيح الأخطاء العروضية.³⁰

و بهاتين المرحلتين نجد الزموري قد تدرج من المرحلة الأولى إلى الثانية،
معتبرا الأولى عرضا إجماليا للموضوع، والثانية تفصيلا لشرح المتن. و سبب
تسميته المرحلتين بالبسط والتعريف، لا يخرج عن نطاق المنهجية المتبعة في المتن،
البسط والتعريف، حيث قال المكودي:

سَمِّيَ بالبسط و التعريف في نظم ما جل من التصريف

وقد اعتمد هذا التقسيم حتى يزيل الغموض للقراء بقوله: (فتمت الموافقة
في الشرح والمتن و العنوان، فزاد بذلك حسنا و بيانا.)³¹ فالبسط لبسط المعاني

³⁰ - فتح اللطيف، ص، 275.297 وغيرها.

³¹ - فتح اللطيف، ص، 25.

وتفصيل الشرح فيها. وأما التعريف فبالأعلام والموضوعات؛ وكان المتوقع
_____ منهجيا _____ أن يقدم الشيخ التعريف على البسط، لأن
التعريف بالجزئيات والبسط في الكليات.

لقد تميز مصنف الزموري بكثرة الأمثلة والشواهد، بجمعه ما أمكن من
مؤلفات علوم اللغة. واهتمامه بصياغة تعريفات للمواضيع المطروحة. مع
الاستشهاد بالآراء والتبني من صحتها بالتعليل، و مناقشتها مناقشة موضوعية.
مع الملاحظة بأنه تأثر بمن سبقه أمثال سيبويه، و الصبان و غيرهم، لكنه كان يميل
كل الميل لسيبويه. بالأخذ بأقواله و الاستشهاد بآرائه، إضافة إلى اعتماده على
شرح الأشموني.

و بهذا التقسيم المخالف، والشرح المفصل ل ، والأمثلة الغزيرة، و التبيان
البسيط السهل لعلم التصريف، تفرد الزموري بهذا المصنف الذي يعتبر من أهم
الشروح لمنظومة المكودي في التصريف. ليبقى فتح اللطيف في التصريف على
البسط و التعريف من المصنفات المهمة في علم التصريف. التي تسهل المهمة
للمقبل على هذا العلم.

في الاستعمال

بعد عرض المصطلحين و تصفح عناوين الموضوع في مظانها، ظهر أنه
باسم التصريف غالبا، مما يرجح تداول هذا المصطلح (التصريف) كثيرا عند
القدماء، الذين اتخذوا التصريف علما للعلم الذي يدرس بنية الكلمة، على النحو
الذي تقدم ذكره.

هذا في مجمل الآثار العربية، وإذا انتقلنا إلى حديث الشيخ الزموري في الموضوع، فسنجده وقف عند الصيغة الثانية (التصريف) وانطلق منها، لأنه بصدد الحديث عن موضوع تحت هذا العنوان، وفي الحديث عن هذا العنوان نوع وفصل ومثل، وقد ساق عنه مقدم الكتاب أنه قال في موقع هذا العلم (إن علم التصريف من علوم العربية الاثني عشر)³² وذكرها في بيتين شعريين، وفي وظيفته قال: (هو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست إعرابا ولا بناء، وموضوعه الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة)³³ المتغيرة.

والتغير المقصود بالدراسة الصرفية أنواع، منه: تغيير العناصر التي هي صوامت، تغييرا ذاتيا مما يعرف بالقلب والإبدال، أو تغيير موقعي، وهو ما يعرف بالتقديم والتأخير، أو تغيير في الصوائت، وهو كالصوامت ذاتي وموقعي، ويضاف إلى ذلك نغير تشكيل كاتنوين، والجميع يندرج تحت ملاحظات صوتية منطوقة تحولت إلى منظورة بالتسجيل.

ويهمنا هنا، هذا المنظور الصوتي الذي جاء فيه أن (موضوعه
_____ أي التصريف _____ الأسماء
المتمكنة والأفعال المتصرفة)³⁴ وهنا يظهر ن التصريف الذي هو تغيير موضوعه
محصور في موضوعين من المتغيرات: أسماء وأفعال، وهما معا ينتميان إلى المستوى
اللساني الثاني وهو مستوى الأفراد.

³² - فتح اللطيف، ص، 7،

³³ - نفسه، ص، 7.

³⁴ - فتح اللطيف، ص، 7.

والمحصور في المستوى الإفرادي هو التغيير الذي يلحق الصوائت أولاً،
(الأسماء الممكنة) والتمكن ثلاثة أنواع: متمكن أمكن، وهو الذي يقبل الحركات
الثلاث، (الرفع والنصب والجر) ويسمى المنصرف. ومتمكن غير أمكن، وهو
الذي لا يقبل الجروالتنوين؛ (ويسمى الممنوع من الصرف) وغير متمكن وغير
أمكن؛ وهو الملازم لحال واحدة ويسمى (الجامد)³⁵ "وفي الجميع تراعى مواقع
الصوائت ووظائفها وتعد المنطلق لتحليل ظواهر التغير في الشكل المؤدي إلى تغيير
المعنى.

وفي هذا قال الصرفيون: (كل تغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى) وإن
كان هذا منطلقهم ورأيهم، فلنا تحفظ عليه سنبيه في موضعه من هذا البحث
بحول الله. ويهمنا موقفهم من علاقة الشكل بالمحتوى؛ والشكل صوامت
وصوائت. وهما العاملان الأساسيان في كل تغيير وتنويع، و يجهود الشيخ الزمري
إلى موضوع التصريف مرة أخرى مؤكدا ما قاله من قبل بقوله (التصريف هـ و
قواعد كلية تعرف بها صيغة الاسم المعرب _____ الكامل التغير
_____ والفعل غير الجامد — _____ القابل للرفع
والنصب _____ وتغييرهما لغرض معنوي أولفظي)³⁶

وما ينتهي إليه الدارس لكتاب فتح اللطيف، في ملاحظة ما به من
مستويات لسانية، وما تحتها من مجالات وموضوعات، يتبين له أن الكتاب
مؤسس على فكرة صوتية غير مصرح بها، وهذا شأن معظم الدراسات الصرفية

³⁵ – للتوسع في هذه الفكرة ينظر تاب سيبويه، ج، 1، ص، 16، تح، عبد السلام محمد هاون، مط،
عالم الكتب، بيروت لبنان، ط، 1966، م.

³⁶ – فتح اللطيف، ص، 46.

العربية منذ نشأتها، وقد انطلق سيبويه في حديثه عن المباني الإفرادية من مقدمة صوتية.

ومما جاء به سيبويه في الكتاب قوله: (هذا باب الحروف العربية ومخارجها، ومهوسها، ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها)³⁷ ومن هذه المنطلقات الصوتية، بنى سيبويه بجهوده في علم المفردات التي قال فيها بعد هذا التقديم، وبعد أن تحدث عن مخارج الحروف وصفاتها، حديثا مفصلا مطولا _____ اقتدي به كل من جاء من بعده في المجال الصوتي

_____ دون الصرفي _____ قال مؤكدا ما ذهب إليه من أهمية الصوت وتوظيفه: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات، لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ويجوز، وما تبدله استثقالا، كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)³⁸. وجميع هذه المفاهيم والمصطلحات مجالها المباني الإفرادية، جعلها سيبويه تحت فكرة التبدلات الموقعية، لمكونات المباني الإفرادية من إدغام، وإبدال، وتخفيف؛ ثم ما اندرج تحتها والتصاق بها من مفاهيم ومصطلحات.

وقد كان حديث سيبويه واضحا صريحا، في أن المنطلقات الصرفية مرجعياتها صوتية، كما أن حديثه جاء مفصلا مؤسسا لدراسات الصوتية، وقد قرن سيبويه بينهما فجعل أساس الدرس الصرفي صوتيا ومجال التطبيقات الصوتية صرفيا، ومن هنا تقوم ثنائية في علم المفردات هي تكافؤ علمي الصوت والصرف وتكاملهما، مع أن لاحق سيبويه من اللغويين مالوا بالتوظيف الصوتي إلى مجال

³⁷ - الكتاب ، سيبويه، تح، عبدالسلام محمد هارون، ج، 4، ص، 431.

³⁸ - نفسه، ج، 4، ص، 436.

الأداء في القراءات القرآنية، وحصر القراء الوظائف الصوتية في مجارج الحروف وصفاتها.

وفي هذا البحث، سنحاول إظهار الوظائف الصوتية في المباني الإفرادية عند الشيخ الزموري. وقد تكون هذه النظرة عودة إلى أصل الدرس اللغوي وتأصيله، وفي كل حال، لأحد ينكر أن منطلق الدرس اللغوي بعامته، كان صوتيا مع أبي الأسود الدؤلي، وأن مصطلحات العلامة الإعرابية كانت ومازالت مرجعيتها صوتية، وسيظهر هذا التوجه في ثنايا هذا البحث بحول الله.

الفصل الأول

الصيغة الحديثة

الفعل هو قسم من الأقسام الرئيسة للكلمة، أو الجملة التي يتألف منها الكلام. باعتباره الحدث والعمل المقترن بفاعل. هذا الفاعل الذي يحقق وجوده

بأعمال و أفعال في فترات حياته، مما يدل على اقتران هذا الفعل المحدث بزمان؛ وهو ما يؤكد أن الفعل يستلزم وجود أمرين لتحقيقه؛ الأول، هو معنى ندركه بالعقل، وهو الحدث، الثاني هو زمن حصول ذلك المعنى أو الحدث. ولتوضيح مسار البحث وتحديد معالمه، نقف عند أهم المفاهيم وأشهرها لاحقاً.

مع المفاهيم

ذكرت المعاجم العربية أن الفعل هو (كناية عن كل عمل متعدد أو غير متعدد)³⁹ فالفعل عمل يقوم به الفاعل؛ بقسميه، متعديا كان أو لازما، وذلك باعتبار معناه. أما باعتبار زمانه، فالفعل يكون ماضيا، أو مضارعا، أو أمرا. مما يؤكد اقتران الفعل بالزمن والحدث. ليكون التعريف الاصطلاحي أن الفعل هو ما دل (على حدث مقترن بزمن محصل)⁴⁰ وهذا الزمن يحدد نوع الفعل إن كان ماضيا، أو مضارعا، أو أمرا كما ذكرت آنفا. باعتباره (أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، و بنيت لما مضى ولما يكون و لما هو كائن لم ينقطع)⁴¹ أي أن الفعل يلحق الذوات كونه حدثا وعمل الذات في زمن معين.

وقد تم ربط الفعل بالحدث لا بالعمل أو الوقوع؛ وقلنا الصيغة الحديثة ولم نقل الصيغة العملية، مع أن الفعل عمل، يقوم به الفاعل في فترة زمنية محددة، وهذا أقرب للصواب في رأيي، من الجهة النظرية، كما أن الحدث هو الأقرب

39 - ابن منظور، لسان العرب، أعداد و تصنيف: يوسف خياط، ج 2، ص 1112، ع 2، دار لسان العرب بيروت.

40 - سيف الدين الأمدي، الاحكام في أصول الاحكام، ج 1، ص 83، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1983.

41 - سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج 1، ص 12، مطبعة الخانجي القاهرة، ط 2، 1977.

للتسمية من الجهة العملية، فالعمل أحداث عديدة متتالية، أما الحدث فهو عمل منفرد، محصور واقع في العمل أحداثاً.

وإذا ما عدنا للمعنى المعجمي، فإن الفعل هو (الحدث والعمل الذي يحقق للموجود وجوده)⁴² ونجد في تعريف القدامى والمحدثين، أن الفعل هو حدث مقترن بزمان، فكان ربط الفعل بالحدث لا بالعمل أو الوقوع، مع أن كليهما يؤديان المعنى نفسه. أي هو الحدث و العمل الذي يقوم به الفاعل في زمن معين، فأيهما أدق معنى و أحسن استعمالاً؟

الفعل جزء من الحدث، و لا يمكن تسمية الجزء بالكل هنا، وذلك باعتبار الحدث موجه العمل إلى الفاعل، أثناء القيام بالفعل الذي هو (أقوى العوامل، بحيث يرفع فاعلاً، و ينصب مفعولاً، كما ينصب سائر ما أسموه ب (الفضلات) كالمفاعيل، والحال، و نحو ذلك، و أنه يعمل أينما كان)⁴³ وهو ما يدل على أهمية الفعل، ودوره في المجال اللغوي.

ولما كان الفعل عملاً، وحركة يستوجب تطوراً، كان تغييراً وتلويناً في هيئة الكائن المتحرك الفاعل الفعال؛ وكان التغير لازماً، ملازماً لكل ما يسمى

⁴² - رفاس سميرة، الملامح الدلالية، ص، 25. ماجستير. 2003م. إشراف مكي

درار. جامعة وهران.

⁴³ - إبراهيم السامرائي، الفعل، زمانه و أبنيته، ص، 15، مؤسسة الرسالة بيروت،

ط، 2، 1980

فاعلا، قائما بالفعل أو متصفا به، حقيقة أو مجازا، سواء كان الاتصاف نفيا أو إثباتا⁴⁴ وهذا لضمان اطراد القاعدة.

وبالنسبة لشكل الفعل وتشكيلته، يوجد اختلاف وتفاوت في المادة والوزن والشكل، مما ينتج عنه تفاوت واختلاف وتلوين في المعنى المنضوي عليه الفعل، وفي الدرس اللغوي الصوتي، توجد معالم ومرتكزات لبناء الصيغة الحديثة، يمكن حصرها في أربعة وهي: المادة، والوزن، والشكل، والمعنى؛ والعناصر الثلاثة الأولى هي تلوينات وتشكيلات متمثلة في كميات صوتية عاملة في إنشاء الصيغة الحديثة وتنويعها.

ومن هذه الرؤية، لتقسيم الصيغة وتنويعها، جعلها معظم الدارسين العرب، في صدارة معظم البحوث والدراسات اللسانية، وتعود هذه النظرة إلى خلفيات سياسية اجتماعية، ففي التوجه الاشتراكي يكون الفعل هو الأساس في بناء المجتمع وفي ذلك نكران للذات، حين يكون الاعتبار للمنتوج المادي، وفي هذا جانب من المعقولية، ولكن فيه إهمالا كليا للذات المنتجة⁴⁵ حتى في المجالات العلمية. وقد عبر الأخضر السائحي عن هذه الفكرة بقوله يصف الشعب الجزائري.

لم يعترف بسوى الأفعال ثابتة لا الاسم لا الحرف عاد في تهجيننا⁴⁶

44 - ففي قولنا: كتب محمد، يعرب محمد فاعلا، وفي قولنا: لم يكتب محمد، يعرب محمد فاعلا أيضا، مع أن الفعل منفي عنه، ولم يقم به ولم يتصف به، من محاضرات مكي درار على طلبه ما جستير.

45 - من محاضرات مكي درار، على طلبه ما جستير.

46 - مجلة الأصالة، ص، 23، عدد 4 سنة 1967م

في حين، اهتم كثير من الدارسين العرب، وبخاصة القدماء، في دراساتهم بالذوات. وأعطوها أهمية، وجعلوها في صدارة تعابيرهم ودراساتهم اللغوية، فهذا سيبويه يقول: (فالكم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) "47" ويحتفظ بهذه العبارة ابن آجروم وهو من رجال القرن السابع هجري، فيقول: (الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) "48" وبين سيبويه وابن آجروم رجال فهموا هذا النهج.

والذي يهمني من هذا كله، في هذا الموضوع، هو بناء الفعل وتشكيلته الصوتية، والملاحظ أن الدراسات اللغوية العربية تنطلق من الماضي غالباً، وذلك لخلفية اجتماعية، والفعل الماضي الأصلي، مفتوح الطرفين، - الفاء واللام - وأحياناً تتالي الفتحات وهو الغالب الشائع لعلّة نقف عندها في موضعه وحتى يكون مسار البحث واضحاً نقدم للصيغة الحديثة جدولاً مستقى من أمثلة الشيخ الزموري من كتابه التصريف، ثم نقف عندها بالتحليل ليتضح ما ذهبنا إليه.

خلاصة عددية للحدثيات

عناصر التشكيل					
العناصر	التشكيلات	العدد	الرتبة	النسبة	الملاحظات
المكونات	الثلاثي	61	1	7,50	
	الرباعي	06	3	2,50	
	الخماسي	11	2	13,75	

47 - الكتاب سيبويه، ج، 1، ص، 12، تح، عبد السلام محمد هارون، مط، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط، 1، 1966م

48 - متن الأجرومية، ص، 3، مط، ردوسي قدور الجزائر. د.ت،

	2,50	4	2	السداسي	
حركة	86,25	1	69	مفتوح	
العين	10,00	2	8	مكسور	
	3,75	3	3	مضموم	
الشكل	12,25	1	10	مفخم	
	10,00	3	8	مرقق	
	7,75	2	62	متوسط	
العدد	91,75	1	73	مفرد	
	50,00	2	4	مثنى	
	3,75	3	3	جمع	
الجنس	97,50	1	78	مذكر	
	2,50	2	2	مؤنث	
الإسناد	2,50	3	2	متكلم	
	8,75	2	7	مخاطب	
	88,75	1	71	غائب	

مكونات الجدول

إن أصل المفردة في العربية ثلاثي باتفاق أهل اللغة؛ على أن يكون الأصل فيها (فعل). بثلاث فتحات، وهذا الأصل يزداد فيه في مثل (فاعل) من أجل التنويع في الدلالة. و ينقص منه بالحذف، إن دعت الضرورة لذلك؛ وهذه الزيادة تزال عن المادة للرجوع إلى الأصل، ولكل (أصل فرع يمتد منه ليدل عليه، ويعود

إليه؛ وإذا انعدمت الفروع تجمدت الأصول؛ و الفروع تفوق الأصول في عددها دائماً⁴⁹ هذا باعتبار المنطق و اعتبار الأغلبية من آراء المختصين.

وقد اشتمل الجدول السابق على ثمانية وسبعين صيغة حديثة، موزعة على ست خانات، متفرعة عنها مسارات. وقد راعينا ترتيب الخانات بحسب أهميتها، فكانت الأولى للمكونات، وهي عدد عناصر الصيغة، والثانية لحركة العين _____ فتح وكسر وضم _____ والثالثة لشكل الصيغة _____ تفخيم وترقي وتوسط _____ والرابعة للعدد _____ مفرد ومثنى وجمع _____ والخامسة للجنس _____ تذكير وتأنيث _____ والسادسة للإسناد _____ متكلم مخاطب غائب. وتحت هذه الوديان الكبرى، تسعة عشر واديا فرعيا متفرعا عنها، وهو ما نقف عنده بالوصف والتحليل لاحقا. وقد تبين من ملاحظة محتويات الوديان، أنها تنقسم إلى قسمين متميزين: قسم يختص بالحدث _____ الفعل _____ وله أربعة وديان الأولى، وهي: المادة، أو المكونات، متبوعا بحركة العين، أو الوزن، ثم الشكل. وتحت هذه الوديان الثلاثة إحدى عشرة خانة. وتبقى من الجدول ثلاثة وديان، هي: العدد، والجنس، والإسناد، ويغلب اعتمادها في الذوات _____ الأسماء _____ ومن هنا، ستنقل إلى موضوع الذوات للحديث عنها في الفصل اللاحق لهذا. وسنطلق بالوصف والتحليل ثم التعليل عند الوديان الثلاثة الأولى.

49 - مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص126.

خصصنا الوادي الأول للمكونات، وتحتة ثلاثة خانات، مخصصة لمكونات الصيغة، وفيها التشكيلات التي جاءت في كتاب التصريف، وتشكلت منها ثلاث مجموعات، منها الثلاثي والرباعي والخماسي؛ وقد قلت أمثلة الشيخ الزوموري مما سماه بعض الدارسين (السداسي) قد اقتصر فيها على مثالين هما: استخرج واحرنجم⁵⁰ ويظهر أنه جاء بها من أجل إتمام شرح أبيات البسط الذي أشار إلى أنواع الأبنية وحصر مكونات الصيغة الحديثة بين أربعة وستة⁵¹ "وحصر أمثلة الرباعي في صيغة دحرج"⁵² على وزن (استفعل) ومجموع الصيغ الحديثة ثمانون ، يتصدرها الثلاثي، بواحدة وستين صيغة، متبوعا بالخماسي إحدى عشرة صيغة، والرباعي بست صيغ. وآخرها السداسي بصيغتين.

وكان المتوقع هنا، أن يحتل الرباعي المرتبة الثانية، لقلة صوامته وخفته على اللسان، ولكن الذي وقع أن الشيخ الزوموري اعتمد الخماسي في التمثيل أكثر من الرباعي، ومرد ذلك في ما يبدو، أن الشيخ راعى مبدأ الخفة، فرأى الثلاثي المزيد بصوتين الذي جاء على ميزان (انفعل) أخف نطقا من الرباعي المجرد المضعف في مثل (قطع) بتشديد الطاء، أو المكرر في مثل (زلزل) وذلك أن الخماسي هو في الحقيقة مزيد بصامت واحد للمعنى، أما العنصر الأول، فهو مجرد صائت طويل، جيء به لتجنب الابتداء بالساكن.

وتكون تشكيلة الخماسي هي ثلاث فتحات متتابعة (ـ) ويلاحظ في كسر صوت البداية مع تسكين ما بعده، نقطة ارتكاز وتمكن للأداء؛ وفيها تمديد زمني للنطق، يترتب عليه تمكين في التهيو، وتنبيه للمعنى المرتقب من حدوثه، ومن

50 - فتح اللطيف، ص، 52.

51 - نفسه، ص، 52،

52 - نفسه، ص، 66.

هذه الصورة النطقية، وهذا التصور للأداء، تكون صيغة الخماسي _____ مع كثرة مكوناتها _____ أخف من صيغة الرباعي المجرد الأصلي، أو المزيد بالتضعيف خرج بتضعيف الراء، أو المتصدر بالهمزة في مثل: (أخرج). ومن الوجهة الصوتية يلاحظ في الخماسي سلاسة ومطاوعة، وليونة في الأداء، وهو خلاف الرباعي المتصف بوقفات التضعيف أو الوقفة الحنجرية للهمزة؛ وللرباعي ثلاثة أوزان مشهورة، واحد بتضعيف العين، (فعل) في مثل: مدد و غم، و واحد بزيادة همزة القطع في بدايته (أفعل) في مثل أخرج، وأرجع. وثالث بزيادة ألف المد في وسطه (فاعل) في مثل قاتل وناصر.

والأمثلة التي جاء بها الشيخ الزموري للثلاثي كثيرة متنوعة، بلغ مجموعها واحدا وستين صيغة من مجموع ثمان وسبعين صيغة حديثة. وما جاء بها للرباعي والخماسي معدودة محدودة، منها: (دحرج؛ ننب، جبجب، وحسبل) "53" وإذا أنقصنا عدد الثلاثي من المجموع كان لغير الثلاثي سبع عشرة صيغة فقط يشترك فيها الرباعي والخماسي والسداسي. ومن موازين الرباعي صيغة (فعلل) المشتملة على ثلاث فتحات، يتوسطها سكون؛ ومقاطعها اللغوية ثلاثة هي هذه، (صعص / صع / صع) ومقاطعها العروضية هي هذه، (/ . //) ومن هنا يكون للحركات وقع على المتلقي، أكثر من سواها.

أما الخماسي فمن أمثلته صيغتا (اقتل) و (اجتلب) وأصلهما (قتل و جلب زيد فيهما عنصران) وميزانهما الصرفي: (افتعل) كما يمكن أن يكون (انفعل) والتشكيكة المقطعية للصيغة الرباعية، دحرج وحسبل هي: (صعص، صع، صع)

أمامقاطع الصيغة الخماسية (اقتل، اجتلب) فهي: (عص، صع، صع، صع) أربعة مقاطع متوسطة الكم مفتوحة النوع.

وإذا ما قمنا بعملية تحليلات مقطعية لموازن الثلاثي والرباعي، والخماسي، ثم لاحظنا مناحي التقارب والتباعد والتلاقي والافتراق، بين الموازين وعدد المقاطع وأنواعها، ظهرت مواطن الترجيح والتعليل، فميزان الثلاثي المجرد السالم _____ مع اختلاف صائت العين _____ هو (فعل) بتوالي ثلاث فتحات، ومقاطعه هي: (صع، صع، صع) ثلاثة مقاطع متوسطة مفتوحة، وهذه تشكيلة جيدة، وكل ما اقترب منها في التشكيل، اقترب منها في السهولة.

ولنا أن نعرض مقاطع الرباعي والخماسي لنرى من يقترب منها ومن يتبعد، ويظهر من التحليل الصوتي لتشكيلة الرباعي أنها تقترب من الخماسي في توالي الصوائت وتمديد العناصر، وأن التشكيلة المقطعية للرباعي المضعف (قطع) هي هذه، (صعص، صعصع) والمزيد بالهمزة (أخرج) هو (صعص، صع، صع) وهنا، يظهر ما يشبه التوافق في المقطع الأول، وكأهمما متماثلان مع أنهما متمايزان في الكميات الصوتية.

أما الخماسي (انفعل) فتشكيلته المقطعية هي: (عص، صع، صع، صع) وقد تماثل ميزان الثلاثي مع الخماسي، في الثلاثة مقاطع الأخيرة، أي أن الخماسي يختلف عن الثلاثي في التقطيع بزيادة المقطع الأول القصير المغلق. وهو ما يعادل ألف المد، الواقع بعد الفاء، وهو ما يعبر عنه بمقطع قصير مزدوج الانفتاح، هكذا (فا) ومقطعهما هو (صعع) وبمقارنة المقاطع ببعضها، يظهر أن التشكيلة

المقطعية للثلاثي المزيد، الذي صار خماسيا، تقترب من الثلاثي الأصلي، المجرد السالم.

ما دون الاكتمال

لقد اختلفت آراء الدارسين العرب في العدد الأصلي لمكونات الصيغة الحديثة، وكانوا في ذلك فريقين، جماعة ترى أن أصل الصيغة الحديثة صامتان فقط، والثالث جيء به لتنويع المعنى؛ وقد تمثلت النظرية الثنائية (في أعمال اللبنانيين بكثرة، وكان أبرز هذه الأعمال، محاولة الشيخ عبد الله العلايلي عن نشأة اللغة، والشيخ أحمد رضا ورفائيل نخلة الياسوعي)⁵⁴ وجماعة ترى أن أصل الصيغة ثلاثة أصوات، صوت يبتدأ به، وصوت يوقف عليه، وصوت يتوسطهما، يسمى (عين الفعل) وهو مركز المعنى. وما وظيفة ما سبقه، وما جاء من بعده، إلا لحفظه وصيانتَه؛ ولذلك يجوز حذف فاء الصيغة عند الأمر، إذا كانت معتلة البداية، في مثل: (جد) بكسر الجيم وتسكين الدال، من (وجد). كما يجوز حذف نهايتها، إذا كانت معتلة أيضا في مثل: (ارم) من رمى. ويجوز أخيرا، حذف فاء الصيغة وعينها معا وتبقى على حرف واحد، في مثل (ق) من وقى. ولكن لايجوز حذف العين — وسط الصيغة — في أية حالة.

لكننا نجد بعض أهل اللغة، لا يتفقون مع من سبقهم. ويرون أن أصل الصيغة غير ثلاثي، بل ثنائي، وأن الصامت الثالث الأخير جاء من أجل تنويع المعنى في دلالة المفردة اللغوية. وأن الكلمة العربية وضعت (في أول أمرها على هجاء واحد، متحرك فساكن، محاكاة لأصوات الطبيعة، ثم فئمت أي زيد فيها

54 - اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان) رياض قاسم، ج، 2، ص، 80، باختصار مؤسسة نوفل، ط، 1، 1982م

حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف، فتصرف بها المتكلمون تصرفاً يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والاهوية"⁵⁵ مثلما هو الحال مع: قطع، قطف، قطر، هذا على سبيل المثال، وأن المفردات تتكون من نفس الصامت الأول والثاني، وتختلف في الصامت الثالث، على أنه هو المخصص للمعنى الموحي بالدلالة، المنوع لها، فالأصل هو (قط)، والحروف الأخيرة في كل بناء، منوعة لمعنى القطع، ومخصصة له. فنظرة أهل هذا الرأي ترد (الثلاثيات إلى الثنائيات وتعتبر الجذر الثنائي قد تطور إلى ثلاثي عن طريق زيادة حرف)"⁵⁶.

و هذا الرأي يبرهن على ما عقده ابن جني في كتابه الخصائص تحت عنوان: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، حين يذكر عدة أمثلة كقوله: (هذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام، و فرش اللغة، و إنما بقى من يثيره ويبحث عن مكنونه.)"⁵⁷ والأساس في الجميع، يعود إلى أن الفعل والحدث الذي تدل عليه الأصول، راجع لمقارنة معنى هذا الحدث بالأصوات الطبيعية. فأصل (قط) صوت مقترن بالقطع. ثم يؤتى بالصامت الثالث الذي هو لام الكلمة، فيميز القطع وينوعه ويخصه، وذلك بحسب الحاجة والقصد، واللغة مقاصد وحاجات، تتطور وتنوع بتطور الإنسان، بل هي الإنسان نفسه، في مختلف أطواره وتقلباته.

⁵⁵ - محمد مبارك، في فقه اللغة، ص، 96، عن انستاس الكرمل، نشوء اللغة و نموها

⁵⁶ - أحمد طاهر حسنين، الاكتمال اللغوي عند العرب، ص، 95، دار الفكر العربي، القاهرة.

⁵⁷ - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج، 2، ص، 52، دار الهدى لبنان، ط، 2،

مزید الثلاثي

سبق أن قدمنا آراء من قالوا بأن أصل الصيغة الحديثة ثنائي. على أن البعض الآخر يثلث الأصل. و نميل إلى هذا الرأي ونرجحه؛ لأن الرأي الآخر احتمالات الوقوع فيه قليلة، والأمثلة المذكورة عندهم قليلة أيضا، وغير عامة على جل المفردات الموجودة في اللغة.

وقد اختلفت آراء القائلين بثنائية العناصر، في ما هي العناصر التي تدل على وقوع الحرف المضاف فقد رآه بعضهم في الأخير، وبعضهم رآه في وسط الكلمة، و في أولها مثل (ج ر ف) وهي أخت جلفت القلم، إذا أخذت جلفته، و هذا من (ج ل ف)؛ وقريب منه الجرف و هو الميل، و إذا جلفت الشيء أو جرفته فقد أملتة عما كان عليه، وهذا من (ج ، ن ، ف)⁵⁸ أما الثلاثي فهو الأصل، لأنه (وصف للفعل الذي يتكون من ثلاثة حروف)⁵⁹ ولهذا السبب، حظي بالمرتبة الأولى، في الجدول العام للصيغ الحديثة ليلغ العدد (61) واحدا وستين صيغة، وذلك من مجموع (80) صيغة بنسبة (76,25 %) وبالرتبة الأولى في الشيوخ، ليأتي من بعده الخماسي، بإحدى عشرة صيغة وبنسبة (13,75 %) وبالرتبة الثانية، ثم يأتي الرباعي بست صيغ، ويسجل نسبة (7,5) ويأتي السداسي في الرتبة الأخيرة بصيغتين وبنسبة (2,5). في ترتيب غير متناسب مع عدد مكونات المباني وعناصر تشكيلها.

إن غلبة الثلاثي على غيره، راجع إلى خفته عن غيره من الأوزان، وذلك أن الباحث العربي قد اعتاد على استعمال الثلاثي حين يستقدم الأمثلة. وحتى

58 - الخصائص، ابن جني، ج، 2، ص، 47.

59 - معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، محمد سمير اللبدي، ص، 37.

طبيعة المدونة تفرض على صاحبها الإكثار في التمثيل بالصيغ الثلاثية، لخفتها وسهولتها ومطاوعتها، للمتكلم المرسل المعبر بها عما يجول في فكره وخاطره؛ وذلك ما يستشف منها إذا ما عدنا إلى متن المدونة الذي تفرض عليه الطبيعة الشعرية التحكم في ضبط الأمثلة.

إننا نجد صاحب فتح اللطيف يجاري صاحب المتن

_____ المكودي _____ في ذكر الأمثلة

من الصيغ الحديثة الثلاثية. حين عادا إلى الأصل ووظفاه، و تغليبه على الفرع، و من الصيغ الثلاثية الواردة في الشرح هي(وله، ضرب، ذهب، علم، سهل، قدم، نزر، أتى، رمى، بيع، وجل، صام، باع، صان، ، رضي، وجب، أكل).

لقد نوع الشيخ الزموري في أمثله حين عمد إلى توظيف ما زاد عن الثلاثي، وما زال عنه، هذا ما تم إحصاؤه في (8) صيغ حديثة أمرية، وهي(فئ، كل، طب، زن، قم، رد، خذ، مر.) وقد عمد الشيخ إلى ذكرها في مقامها، وعلى حسب طرحه للقضايا التصريفية. وجاء ذكر الرباعي والخماسي بعيدين عن الثلاثي متقاربين من بعضهما.

أما السداسي، فلم يحظ عند صاحب الكتاب بالحضور الكبير، حين أورد له صيغتين حديثين هما: (انبريت، اقتتلا)، وهما صيغتان ثلاثيتان مزيديتان بثلاثة أصوات، اثنان من أجل المعنى وواحد من أجل الأداء. وهذا راجع إلى أن السداسي يتسم بالثقل، و قلة الأمثلة فيه. كونه مجرد زوائد ومقحمات في الأصول.

في الإضافات

تذهب الدراسات العربية إلى أن المباني الإفرادية نوعان: أصول، ومزيد فيها، والأصول نوعان ثلاثي ورباعي، مع أن الثلاثي قد يصير رباعيا بزيادة صامت من صوامت الزيادة المجموعة في قولهم (سألتمونيها)⁶⁰ في مثل (أخرج، واستخرج، وقاتل، وتقاتل)⁶¹ فاصل الجميع ثلاثي. وقد يكون الأصل رباعيا في مثل: جحبج ساح في الأرض، وجحبج، في الشئ تردد⁶² والزيادة هنا بالإضافة وقد تكون بتكرير الصوت نفسه منفصلا في مثل: زلزل أو متصلا مشددا في مثل: عذب.

وهنا تبرز قضية وهي أن للزيادة مقصد وهو تضعيف المعنى، وقال اللغويون كل زيادة في المبنى تنتج عنه زيادة في المعنى، وقسم اللغويون أصوات العربية إلى قسمين حروف للمباني فقط وأخرى للمباني والمعاني، وحروف المعاني ثلاثة عشر مجموعة في عبارة (سألتمونيها) مضاف إليها ثلاثة أخرى جمعوها في قولهم (بكف)⁶³ لكن التضعيف قد يكون في ه ذه الأصوات، كما يمكن أن يكون في غيرها. في مثل: مدد، وقرّر، ودبر، فجميع هذه الأصوات المضاعفة غير موجودة في قائمة الزوائد.

وهنا نستعين بالتحليل الصوتي من جديد، وبخاصة نظرة السهولة في الأداء والاقتصاد في الجهد، ففي تكرار الصوت بعينه، (مدّ، ومدد) سهولة في النطق وفي الوقت ذاته اقتصاد في الجهد. ويصبح المزيد بالتضعيف أسهل وأفيد من المزيد

60 - كما قالوا فيها: (اليوم تنساه) ومنها (أهوى تلمسان) ومنها: (أمان وتسهيل)

61 - أصل الأول خرج، الأول مزيد بالهمزة في الأول، والتاء والسين، في الثاني وأصل الفعل الثاني قتل مزيد بالألف في الأول، والألف والتاء في الثاني. ولكل زيادة معنى.

62 - ينظر فتح اللطيف، ص، 119. هذه أمثلة مما جاء به الزموري وغيرها كثير.

63 - مكى درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص، 67

بالحرف في مثل: (قاتل واقتتل وتقاتل) لأن في المزيد بالحرف كلفة في الجهد عند النطق، وامتداد في الوقت عند الأداء.

هذا حديث الأصول والفروع وإذا ما عدنا إلى الجدول العام، لمكونات الصيغ الحديثة، نجد أن الأرقام مقبولة، مما يعزز قولنا في تغليب الأصول على الفروع. و الترتيب المتوالي في الإحصاء العام للصيغ. فكان للثلاثي الرتبة الأولى، والخماسي ثم الرباعي، وأخيرا السداسي.

هذا عن الصف الأول، للجدول العام للصيغ الحديثة، وهو صف المكونات التي هي (مجموع الصوامت العاملة في إنشائها)⁶⁴ "من الثلاثي المتصدر المكانية، إلى السداسي في نهاية الترتيب. أما الصف الثاني الذي نتعامل معه، في الجدول العام للحدثيات، فهو حركة العين المسماة وزنا.

الوزن

الوزن يركز فيه على حركة العين، أي صائت الوسط. كونه من يحدد نوع الميزان الصرفي، والوزن معيار لمعرفة (أحوال بنية الكلمة)⁶⁵ "واستيعاب كيف بنيت، و معرفة الأصلي من الزائد فيها. و(الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم"⁶⁶ وذلك بمقابلة اللفظ بحروف الميزان، وهي الفاء والعين واللام، وذلك لمعرفة ما فيه من حروف أصلية أو زائدة، و لضبط ما في مبناها من حركات أو سكنات. كما أن الوزن (اسم يستعمل في تعداد الأشكال و الصيغ المقررة

⁶⁴ - مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص، 127.

⁶⁵ - عبد الحميد مصطفى السيد، المغني في علم الصرف، ص، 46، دار الأمل الأردن، ط1، 1998.

⁶⁶ - ابن منظور، لسان العرب، ج، 3، ص، 920.

للأسماء والأفعال"⁶⁷ ولأن أكثر الكلمات في العربية، يتكون من ثلاثة صوامت؛ فإن أهل الصرف جعلوا الميزان الصرفي متكونا من ثلاثة أصول هي (ف ع ل).

ف- وتقابل الصامت الأول من الكلمة الموزونة، و تسمى فاء الكلمة.

ع- و تقابل الصامت الثاني من الكلمة الموزونة، وتسمى عين الكلمة.

ل- و تقابل الصامت الثالث من الكلمة الموزونة، و تسمى لام الكلمة.

على أن الوزن المكون من الفاء و العين و اللام، يضبط بالصوائت، على حسب حركات الصوامت، من الكلمة الموزونة. و مادة (ف، ع، ل) اختيرت كأصل للوزن، رجوعا لقولهم كل حدث يسمى فعلا. و إذا عللناها صوتيا، قلنا إنها تمثل ثلاثة مخارج؛ الحلق و اللسان و الشفتين. فالعين من الحلق، واللام من اللسان، والفاء من الشفتين. ومن هنا تكون مادة فعل ممتدة على طول الجهاز النطقي وثابتة في أهم تقسيماته الأصلية، الحلق، اللسان، الشفتان. إلا أن ترتيبها بحسب مواقعها في الميزان (فعل) يمثل هرما قمته العين، وامتداد قاعدته اللام والفاء.

المفردة في الميزان

تمتاز العربية بشراء مفرداتها، وكثرة ألفاظها، بما فيها من أصول و فروع. والفعل أحد هذه المفردات. وإذا ما عدنا إلى المعاجم العربية فإننا نجد لها مليئة بالمفردات الحديثة. وإذا أعدناها إلى الكتب التصريفية، فسنجدها حاضرة لمطابقتها للأوزان. مما يوجد لكل مفردة وزنا مطابقا لها.

⁶⁷ - محمد سمير اللبدي، معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، ص 239 .

و أوزان العربية معروفة، و لها قواعد مبنية عليها. فإذا ما عدنا للأصل نقول إنه ثلاثي (فعل) يحدد نوعه الحركات الثلاث، و ما يهمنا، هو حركة العين فنقول (فعل بفتح العين، و فطح بكسر العين، و فعل بضمها)، هذا في الماضي، لأن العربي يعتز بماضييه. و لكل من هذه الصيغ أمثلة لا حصر لها، من مفردات العربية. وهي حاضرة في أمثلة الزموري منها (ضرب، وذهب، ووجب، و أكل) للوزن الأول المفتوح العين. و (سهل، وكرم) للوزن الثاني المضموم العين و (علم، وفهم، ورضي) للوزن الثالث المكسور العين.

و لا يمكن حصر الأوزان الأصلية و الفرعية لكثرتها ، ولأن لها قالبا مخصوصا وقواعد معينة، فلم يمكننا من معرفة الدخيل والغريب، بحيث يمكن للغريب (من كل شيء، وعن كل شيء، أن يقترب من الأصول و يختلط بها، و لكن تبقى له أمارة يحتفظ بها، ليطمئن بها عن غيره ويعود بها إلى منبته؛ و اللغة كائن حي اجتماعي، له من العناصر و المكونات ما في كل مجتمع من مخلوقات؛ و علامة الغريب في اللغة، يمكن أن تكون في الصيغة كلها، أو في الصامت أو الصائت منها) "68".

فلا مناط من أن بالصيغة والوزن تعرف المفردات العربية القحة من الدخيلة، فوزن (فعل) ————— بكسر العين ————— غير متوافر في العربية، و المفردة التي على هذا الوزن ليست بعربية. لأن الانتقال من الكسر إلى الضم استعلاء، وهذا لا يوجد، و فيه ثقل و غرابة. مثلما هو الحال في مفردة (شكولا الأعجمية؛ ————— بكسر الشين ————— التي عربوها

منطوقة، وأصبحت بذلك غريبة؛ و لتدل العربية على أن هذه المفردة ليست منها، كسرت أول حرف فيها، لتصبح على وزن ما لا تقبله العربية." ⁶⁹

المفردات العربية الصحيحة تخضع لوزن و قالب معين؛ على حسب الموضوع و الهيئة. ولهذا يعرف الغريب من المفردات بكل سهولة. والوزن يتحكم فيه عدد ونوع الصوامت والصوائت، وكيفية توزيعها على المفردة والوزن. ولهذا أصبحت المفردة العربية والوزن يخضعان لمبدأ التوزيع والتنويع.

بين التوزيع و التنويع ⁷⁰

المفردات في الماضي تتوزع فيها الصوائت على وسط الصيغة، كما هو في مفردات (ذهب، وأكل، وجذب)، فالفتحة أخذت موقعها في ميزان (فعل). وفي صيغتي (سئل، نزر)، أخذت الضمة موقعها في صدارة الصيغة، و في (قدم، علم) كان الحضور للكسرة. فتوزيع الصوائت على الصيغ عمل تصريفي كما هو عمل صوتي.

وفي مفردات الجدول العام للصيغ الحديثة نجد الفتحة وهي التي تنشأ من فتح الفم (بانخفاض مقدم اللسان حتى يبلغ أقصى ما يستطيع من الانخفاض) ⁷¹ قد حظيت بالمرتبة الأولى، من الصف الثاني للجدول العام، من صف حركة العين، وذلك بمجموع سبعة وستين موقعا؛ ثم الكسرة، بثمانية مواقع؛ وهي التي تحدث بارتفاع (مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى حتى بلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه دون أن يرتطم بالحنك، أو يصل إلى درجة الهواء المار يحدث

⁶⁹ - نفسه، ص، 98.

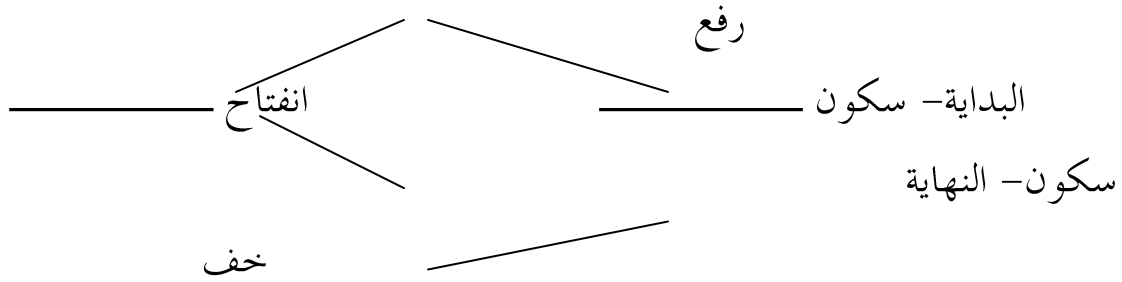
⁷⁰ - هذا العنوان، مستقى من كتاب المجل في المباحث الصوتية من الآثار العربية مكي درار بعد استشارته وموافقه.

⁷¹ - محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص، 229، دار الشرق بيروت، ط، 3.

احتكاكا.)⁷² ثم الضمة بثلاثة مواقع. وهي التي تحدث (بارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك،)⁷³ وهنا يظهر فارق أساسي بين الضمة والكسرة وهو ارتفاع مؤخر اللسان مع الضمة وارتفاع مقدم اللسان مع الكسرة.

أما من حيث الدلالة، فالضم علم الثبات. والكسر علم التغير. والفتح علم الحياد؛⁷⁴ لهذا حظي بالرتابة. فنجد أن من الضم إلى الكسر استفال، ومن الكسر إلى الضم استعلاء و هذا لا يوجد. وفي كلتا العمليتين نمر بالفتح

خطاطة توضيحية



تعقيب على الرسم

يبين الرسم السابق، أن المفردة قبل النطق بها يكون الجهاز في حالة سكون لينتهي إلى السكون بعد أن ينفتح الممر ليرتفع أو ينخفض ليعود مرة أخرى إلى السكون يمر بنفس العملية، أي يمر على الفتح مرتين حين يمر على الضم و الكسر مرة لكل واحد.

لهذا نجد العدد سبعا وستين للفتح معقولا و مناسبا. والضم و الكسر جاءا بقيمة أقل. ومع حضور المفردات في الماضي و المضارع و الأمر يمكن بناء مبدأ التوزيع و التنويع للصيغ.

⁷² - محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص، 229.

⁷³ - نفسه، ص، 230.

⁷⁴ - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص، 167.

مبدأ التوزيع

يتحقق مبدأ التوزيع في الماضي؛ بتوزيع الصوائت في وسط الموزونات المسماة (عين الفعل). ولهذا، نجد الزموري قد راعى هذه النظرة وأحسن توظيفها حين كان يذكر المفردة بميزانها مع ذكر نوعية الصائت فيها، من أجل التأكيد، حتى لا يقع للقارئ لبس والتباس، لما كانت الصوائت ذات العدد ثلاثة.

تتوزع في وسط الوزن في صيغة الماضي ب (فعل، وفعل، وفعل) بفتح العين وضمها وكسرهما على التوالي؛ ولها أمثلة من الجدول العام للحدثيات في مثل: (جذب، سئل، فهم). فالصوائت هي التي قامت بتلوين الوزن و تحديد دلالاته في الصيغ الأصول الثلاث، (و أساس هذا مراعاة مبدأ التوزيع ثلاثة صوائت في ثلاثة مواقع، بثلاث صيغ أصول)⁷⁵

مبدأ التنويع

إذا كان مبدأ التوزيع يتحقق في الماضي، فإن مبدأ التنويع يتحقق في المضارع، على أساس المخالفة الواقعة بين الماضي و المضارع. و التنويع يكون أساسه الصوامت، و توزيع الصوائت عليها (و لما كان المضارع مخالفا للماضي؛ في كل عناصره، و مكوناته، وفي شكله و دلالاته، كان ينبغي أن نراعي مبدأ التنويع أيضا؛ أي ما يوجد في الماضي، لا يوجد في المضارع، من مادة ووزن ودلالة؛ ويرتفع العدد في المضارع إلى ضعف ما في الماضي)⁷⁶ "على أساس التنويع.

⁷⁵ - مكي درار، المجمل، في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص، 128.

⁷⁶ - مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص، 128.

فأوزان المضارع ضعف أوزان الماضي. أي ستة أوزان وهي من فعل: المفتوح العين يأتي صيغتا يفعل، ويفعل. بكسر العين في الأول وضمها في الثاني. ومن فعل: المضموم العين، تأتي صيغتا يفعل ويفعل بكسر العين وضمها. ومن فعل المكسور العين تأتي صيغا، يفعل ويفعل بفتح العين وضمها. ومرد هذه المباني من حيث العدد إلى مبدأ التوزيع في الماضي والتنويع في المضارع ونتج عنهما معا ثلاث صيغ في الماضي وست صيغ في المضارع على أساس التوزيع النظري؛ أما جانب العمل والاستعمال فهما غير ذلك. وإذا ما لاحظنا صور تلك المباني، وأخضعناها إلى مبدئي التوزيع والتنويع وإلى عامل الصوت في الجميع ظهرت علل وتعليلات لها؛ يمكن حصرها في ما يلي:

لقد اختلفت آراء المختصين في عدد جذور الصيغة الحديثة؛ فهي صامتان أم ثلاثة، — على ما تقدم ذكره — وترجح أنها ثلاثة، ولم يختلفوا في عدد الصوائت العربية الأصلية القصيرة، واتفقوا على أنها ثلاث: فتحة وكسرة وضمة، وهي الأصول؛ مع وجود فروع مختلفة باختلاف كميات الامتداد والاتساع⁷⁷ وقد أشار الشيخ الزموري إلى هذه الفكرة بقوله: (فأما أبنية الثلاثي فله ثلاثة أوزان متفق عليها، وهي: فعل بفتحهما — أي الفاء والعين، — كضرب،⁷⁸ وفعل بفتح فكسر، كعلم، وفعل، بفتح فضم، كسهل)⁷⁹ وتوقف الشيخ عند الوصف

77 - للتوسع في مفهوم الكميات، ينظر المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية مكي درار، ص، 109، مط، دار الأديب، وهران، ط، 2، 2006م

78 - كان الأحسن أن يقول هنا: بثلاث فتحات، لأن هذا الوزن الوحيد الذي تتوالى فيه ثلاث فتحات، ونراه يقول من بعد هذا: فتح وكسر — ويقصد كسر العين في فعل — في مثل: علم، وفتح فضم — فتح الفاء وضم العين — في مثل: سهل

79 - فتح اللطيف، ص، 65، باختصار.

دون التحليل والتعليل، والمهم هنا، هي فكرة التوزيع النظري الثلاثي،
الصوائت ثلاث تنتج عنها صيغ ثلاث واحدة مضمومة العين، وأخرى
مفتوحة، والثالثة مكسورة. وهذا هو مبدأ التوزيع، ولو كان في العربية
صوائت أكثر من ثلاثة لكانت المباني الأصلية مثلها؛ ومن هنا نقول: تعمل
الصوائت عملاً مباشراً في توليد الصيغ الحديثة، كما نقول للعامل الصوتي أثر
وتأثير مباشر في بناء المباني الحديثة بحسب ما تقدم، وفي تنويعها على ما سيأتي.

لما كان المضارع مخالفاً للماضي في شكله ومحتواه، كان المرتقب أن يكون لكل
صائت في الماضي مخالفه في المضارع، فالصيغة المفتوحة العين في الماضي تكون
في المضارع إما مكسورة أو مضمومة، وإن وجدت صيغة تكرر فيها الصائت
نفسه، في الماضي والمضارع في مثل: فتح يفتح، ورفع يرفع، فذلك لعل
صوتية، ينبغي مراعاتها على أساس التحليل والتعليل.

لدارسين العرب مفاهيم ومصطلحات صارت شائعة دون تحليل لها أو تعليل
لما جاءت عليه، واكتفوا بقولهم (شاذ، أو فيه وجهان أو ثلاثة، أو هكذا قالت
العرب) وأحياناً يغضون الطرف عنها، ويتناسونها، مما أدخل على الدارس
العربي ارتباكاً.

وفي تحليل بعض هذه المصطلحات كقولهم في صيغتي (رفع وفتح) بفتح العين
والماضي؛ قالوا العين والحاء صوتان حلقيان قويان ثقيلان، والكسرة والضمة
أثقل من الفتحة، وأصل الصيغة هو الماضي والماضي مفتوح، ومن هناك جاءت
الصيغتان مفتوحتين في الماضي والمضارع، وعلّة ذلك

عندهم _____ أن الصيغتين عادتتا إلى أصلهما المفتوح مراعاة للخفة والأصالة.

قلنا جاءت صيغتنا نفخ وفرغ المفتوحتا العين في الماضي جاءتتا مضمومتا العين في المضارع والحاء والغين حرفان حلقيان، أيضا، قالوا جاءتتا مطابقتين لقاعدتي التوزيع والتنويع.

_____ قلنا جاءت صيغة نزع ومعها رجع مكسورتي العين في المضارع وفيهما حرفا حلق، فكان التعليل أنهما خضعتا للقاعدة.

_____ قلنا ما ذا يقال في صيغتي ركن يركن وقنط يقنط بفتح العين في الماضي والمضارع وليس فيهما حرف حلق؟؟ تعثرت الإجابة⁸⁰

التحليل الصوتي

إذا وقفنا عندما تقدم من الصيغ الحديثة الخارجة عن قاعدتي التنويع والتوزيع، فسنجد لها تعليلًا صوتيًا لغويًا مقبولا يتمثل في الرجوع إلى كميات الصوائت ومقاديرها⁸¹ بحيث يتدخل عاملا الخفة والثقل في تحقيق الانسجام.

وهنا نعود إلى مواقع الصوائت العربية وتوزيعها في الجهاز النطقي، وننتقل من الحلق وفيه ستة أصوات هي: الهمزة والهاء والين والحاء والغين والحاء. وهنا

⁸⁰ - قال مكي درار، في إحدى محاضراته، على طلبة ما جستير: هنا توقف الصرفيون ليتكلم الصوتيون

⁸¹ - ينظر تفصيل القول في هذا، عند بوداود إبراهيمي: القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، ص، 100 وما عدها رسالة ماجستير مخطوط 2007م قسم اللغة العربية جامعة وهران، إشراف، مكي درار

نقول:⁸² "إذا كانت عين الفعل أولامه حرفا من أقصى الحلق (همزة أو هاء) في مثل قرأ وذهب. انفتحت عينا الصيغة في الماضي والمضارع مراعاة لتحقيق الخفة، وإن كانت عينا الصيغة من وسط الحلق (عين أو حاء) جاز وجهان الأول تكرار الفتح لتحقيق الخفة والثاني كسر عين المضارع لتحقيق الانسجام بين العين والحاء المرققتين من جهة والكسرة المرققة من جهة أخرى ولكن لايجوز الضم، لاتنافي مبدئ الخفة والانسجام معا.

وإذا كانت عين الفعل صوتا من أصوات أدنى الحلق (الحاء والغين) جاز الوجهان أيضا، الفتح مراعاة لتحقيق الخفة والاقتصاد في الجهد، أوضم عين الصيغتين، تحقيقا لمبدأ الانسجام، ولكن لايجوز كسرهما لتنافي مبدئ تحقيق الخفة أو الانسجام. وأن هنا يكون للقوانين الصوتية كلمة الفصل في تحليل المباني وتعليل الظواهر. وهناك عامل يتعامل مع الصوائت في تحليل المباني وتنوع المباني وهو الشكل المتمثل في كميات الاتساع والامتداد وهو الآتي حديثه.

الشكل

الشكل هو ثالث خانات الجدول، كما أنه آخر صف من صفوف الحداثيات في الجدول السابق. ونقصد بالشكل نوعية الكميات الصوتية المنطوقة دوما المرسومة أحيانا ونعني به في هذا الموضع (التفخيم و الترقيق. والتوسط) في كميات الاتساع، كما نعني به جزئيات الصوائت ومضاعفاتها في مجال الامتداد؛ ومن هنا لابد من مراعاة الشكل في المباني الإفرادية للتفريق بين الصيغ المتماثلة و المتشابهة، و من أمثلة ذلك صيغتا (سار و صار) فهما مفردتان حديثان، ثلاثيتا المكونات، مفتوحتا العين في الماضي، مكسورتكما في

82 - للتوسع في هذه الفكرة ينظر المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية مكي درار،

المضارع؛ ومن هنا فهما متماثلتان والتماثل يتطلب التخلي عن أحد المتماثلين بالإحالة أو الإزالة أو الأدماج، وهذه الظاهرة لم يتوقف عنها الشيخ، وذلك أنه كان يشرح منظومة خلت من التعرض لظاهرتي الشكل والتشكيل.

و نجد الزموري ممن اهتموا بموضوع الشكل في تحليله، فنراه يحاول تحليل المفردات بذكر معانيها، وقد تحدث في مواضع الزيادة بتوسع في شرع بعض المعاني كمزيدات التاء التي أي لها بثماني عشرة وزنا ومثالا⁸³ ولكنه لم يتعرض في جميع ما ساقه من أمثلة لصيغة (افتعل) عندما تقلب التاء طاء في مثل (اضطرب واصطدم) وهو موضوع مهم في الدراسات الصرفية الصوتية⁸⁴ كاتاء يبرر بعض القواعد وبعضها من اختياراته التمثيلية في موضوع الإبدال وإن لم يكن تعليلا تصريحيا بل تلميحيا لأنه في مجال التصريف وهو لا يريد التطرق للصوت .

التفخيم

التفخيم شكل من أشكال تفريق المعنى الدلالي، و معجميا (التفخيم: التعظيم و فخم الكلام عظمه)⁸⁵ فالتفخيم تعني التعظيم؛ و هو(ما جاوز القدر و جل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته)⁸⁶ فالصامت المفخم هو ما تجاوز الترقيق و التوسط. والتفخيم على وزن تفعيل، صيغة مبالغة؛ فيها يرتفع أقصى اللسان إلى أقصى الحنك .

83 - فتح اللطيف، ص، 223.

84 - ينظر تحليل صيغة (اصطدم) صوتيا، في المجلد ، من المباحث الصوتية في الآثار العربية مكى درار ص، 87. والمقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، مكى درار وسعاد بسناسي، ص، 76.

85 - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص، 1021، ع، 1.

86 - نفسه، ج 2، ص، 817، ع 3 .

طاء، كالذي جاء به من الأمثلة، وفروعه هو بقية الأمثلة كإبدال التاء دالا في
ازدهر ازدحم وما شابهها

وما نقف عنده هنا، ليس ما هو موجود بالوصف وإنما لما هو موجود
هكذا بالتعليل الصوتي، وتلفت انتباه القارئ مفردة في البيت الثاني هي قوله
(واحفظا) وفي معنى هذه المفردة قال الشيخ الزموري: (واحفظا _____
الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة _____ أي احفظن أمثلتها التي
ستذكر)⁹⁰ ومما يلاحظ في هذا أن صاحب المتن أوصى بحفظ الأمثلة بذاتها
لألفهمها ولا للقياس عليها، وإنما هي ألفاظ تحفظ لتوظيفها عند الحاجة إليها كما
هي. أما في هذا البحث فنسعى إلى تحسين الفهم مع تثبيت الحفظ.

التحليل الصوتي لظاهرة الإبدال

إن من يقف عند المفردات السابق ذكرها، وهي: اظلم، والمصطر،
ويطهر. يجد هذه المفردات الثلاثة تعود في عناصر تكوينها إلى ستة عناصر، ثلاثة
صوامت وثلاثة صوائت من حيث الكم وتعود في شكلها إلى ميزان صرفي واحد
هو (فعل) المفتوح العين، وأصل الجميع ظلم وصبر وطهر، فانتقلت هذه المفردات
من الثلاثي إلى الخماسي نطقا رباعي دلالة، وذلك أن همزة الوصل في الجميع
ليست لها وظيفة دلالية إنما جيئ بها للتمكن من النطق بالساكن، والمزيد هو التاء
الدالة على الرغبة والإرادة والمقصدية في التعبير.

وما يهمنا هنا هو تعليل الانقلاب لاتعيين الزيادة، ومعروف أن ميزان فعل
انتقل إلى اتعل بزيادة التاء، وكان المتوقع أن تكون هذه المباني على الشكل الآتي
فيقال اظلم واصتبر واطتهر، وهنا تطرح أسئلة وهي هل هذه الصيغ مجردة أم

مويده، الجواب أنها مزيدة وهل الطاء من حروف الزيادة (سألتمونيها؟) الجواب لا، ولماذا دخلت الطاء هنا؟ الجواب عند المكودي هو احفظ وكفى، (انتقد ولا تعتقد)⁹¹ "ويأتي المكودي بأمثلة أخرى، للإبدال انقلبت فيها التاء دالا كقوله:

وصيرن ذا التاء دالا إن قفا ذالا ودالا ثم زاي
فاعرفا

وذاك مثال ازدجر المذكّر وأدّن فهادي كلها لا تنكر⁹²

وعلق الزموري على البيتين بقوله: (هذا في إبدال الدال من تاء الافتعال، والإبدال هنا واجب للاستثقال)⁹³ "وهنا يقف الزموري وقفة صوتية بقوله للاستثقال الذي يعتبر كمية صوتية تنتمي إلى مجال الكثافة والطاقة. ولكن لماذا أبدلت التاء طاء في اظطلم وأبدلت دالا في الودحم؟ يمكن أن يقال في اظطلم: اظدم؛ وفي ازدحم ازطحم ما دام الصوتان الطاء والدال يبدلان من التاء.

وقد أشار سيبويه إلى هذا بقوله: (فإذ كان فاء افتعل أحد ثلاثة أحرف: الزاي والدال والذال، قلبت تاء الافتعال دالا)⁹⁴ "ولكنه لم يعلل لهذا لانقلاب، ومن هنا حذا حذوه لاحقوه بالوصف والعرض دون التحليل والتعليل لهذه الظاهرة. وهنا يتدخل الصوت اللغوي بقواعده وقوانينه محاولا الإجابة العلمية على الأسئلة والتساؤلات السابقة فنقول:

91 - هذا المثل، على الذين يعجزون عن التعليل.

92 - المكودي، متن البسط، في فتح اللطيف الزموري، ص، 391 .

93 - فتح اللطيف، ص، 127.

94 - سيبويه، الكتاب، ج، 4، ص، 239.

إن الأصوات الثلاثة التي أشار إليها الدارسون يتقدمهم سيبويه، تتميز بالجر كلاً، اثنان منها رخويان، هما الزاي والياء، وواحد شديد هو الدال. وإلى هنا لم تظهر علة الإبدال، لأن الحديث عن الأصوات منعزلة عن السياق هو مجرد وصف وإظهار خصائص، ولكن السياق هو موضع التحول والتغير.

والأمثلة الغالبة نوعان وهي إما تجاور التاء مع أحد صوامت الإطباق (الطاء في مثل اطلع، والظاء في مثل اظلم، والضاد في مثل اضطرب، والصاد في مثل اضطدم) وفي الجميع ابدلت التاء طاء. أو تبدل التاء دالا، إذا تجاورت مع الزاي، في مثل ازدجر الذي أصله ازجر.

والعلة الصوتية في ما سبق تعود إلى مراعاة تحقيق الانسجام والتناسب بين عناصر التكوين، ففي صيغة ضرب لما تنقل إلى ميزان افتعل ينبغي أن تكون اضطرب، ولكن في هذه التشكيلة سيقع تفاوت في قمم الزوايا الصوتية فحين يقوى الصوت ويتضخم وتعلو قمته مع الضاد في صدارة الصيغة (فاء الكلمة) سيتزل وينخفض وتنحط قمته مع التاء، وهنا يحدث تنافر صوتي تأباه العربية.

ولكن ما حال التاء مع الدال، الجواب هنا إن صيغة (افتعل) لما يتجاور صوت التاء مع الزاي في مثل ازحم وازجر يقع صوت التاء المهموس الشديد الممتد زماناً أقل من مجاوريه، سيقع تنافر أيضاً، ويمكن لأزيز الزاي المجهور وصفيره تأثير على مجاوره إذ يقع التاء المهموس تحت أزيز الزاي المجهور في بحث كل منهما (الزاي والتاء عمن يناسبه) وهذا مقصد الإبدال ويمكن حصر علة هذه الحالة في ما يأتي:

تبدل الدال من التاء إذا كانت في صيغة افتعل في مثل ازدجر، واضطرب،
الذي أصلها ازتجر واضترب، ولما وقعت التاء المهموسة المستفلة بين مجهورين
أبدلت بما يحدث الانسجام الصوتي، ففي الصيغة الأولى اتجر التاء مهموسة والزاي
مجهورة فأبدلت التاء بصوت يشاركها في المخرج ويشارك ما قبلها في الصفة
فكان الدال. كما أبدلت التاء بما يناسبها مخرجا ويتناسب مع ما قبلها صفة
_____ في صيغة اضطرب _____ فكانت الطاء)⁹⁵
وننتهي إلى خلاصة تعليل هي.

عند ما يتجاور صوتان متنافران نبذل أحدهما بما يناسبه وهنا ننظر إلى صفة
الصوت الأصلي (تاء افتعل) ونبحث له عن صوت يناسبه في المخرج وهما (الدال
والطاء) وإلى الصوت الذي يناسب ما قبله صفة (هي المطبقات) ثم نجري العلمية
في قانون التناسب والتوافق. وكمثال على ذلك نقول في صيغة اضطرب، الأصل
فيها أن تكون اضترب.

ولكن لما تنافر صوت الضاد، المجهور، المفخم المستعلي. مع صوت التاء
المهموس المرقق المستفل، بحث اللغة عما يزيل التنافر ويحدث الانسجام بشرط أن
تكون بين الصوت المزال والذي يحل محله علاقة أصلية.
ففي صيغة (اضطرب) توجد بين الصوت المتنازل والذي يحل محله علاقة
فيزيولوجية مخرجية هي النطع فكل من التاء والطاء نطعي، كما توجد علاقة
فيزيائية صفاتية بين الصوت الأصلي الذي هو الضاد والصوت الجديد الذي هو
الطاء علاقة لإطباق والاستعلاء والتفخيم.

⁹⁵ - مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، خلفيات
وامتداد، ص، 219، باختصار وتصرف. مط، اتحاد الكتاب العرب
دمشق، ط، 1، 2007م.

وفي صيغتي (ازدحم وازدهر وازدجر) توجد علاقة بينهما علاقتان، واحدة فيزيولوجية مخرجية فكلاهما نطعي، والأخرى فيزيائية كمية كلاهما مجهور، وللتسكين دوره في تثقيل الصوت وترجيحه. وهذه نظرة صوتية تحليلية لما يحدث في المباني الإفادية من تبدلات وصفها القدماء دون تحليل أو تعليل.

هذا من جانب الشكل أما من جهة الدلالة فالتفخيم يصيب المباني والمعاني معا، وإن كان أصاب الشكل في ما سبق، فقد يصيب المعنى، وذلك بترقيق المفخمات مما سبق. وما ينبغي التنبيه عليه، أن التفخيم نوعان: ثابت ومتغير؛ فالثابت هو ما كان في أصوات الإطباق بالدرجة الأولى، (ص، ض، ط، ظ)، ثم بقية أصوات الاستعلاء، (غ، خ، ق) في المرتبة الثانية، وهو ما يتضح لاحقا في الترقيق.

الترقيق

الترقيق عكس التفخيم، وهو ما عدا الحروف المذكورة . ورقيق (نقيض الغليظ و الثخين، ورق جلد العنب: لطف)⁹⁶ فالترقيق يعني التلطف. وفيه يرتفع وسط اللسان اتجاه وسط الحنك. وللترقيق تحكم من الصوائت أيضا. فان لم يتحقق في الصامت تفخيم أو ترقيق، فنقول توسط. ومن الصوامت المرققة حقا (السين والتاء والذال) في مقابل الصوامت المفخمة أصلا، ويلاحظ أن كل صوت مرقق، يقابله صوت مفخم إلا أن الذال يقابله صوتان هما الضاد والطاء، ولذلك يقع تداخل بينهما عند النطق بأحدهما.

⁹⁶ - ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص، 1208، ع، 2.

وفي مجال الوظائف الدلالية للتفخيم والترقيق، فمنه ما يغير معنى المفردة ومنه من يكتفي بتغيير الشكل، فالصاد في مقابل السين يلحق تغييرا بالمعنى وذلك في مثل (ساد وصاد وصد وسد) وفي مثل: (طاب وتاب وطوبة وتوبة) وفي مثل: (ظل وذل، وذبح وضبح).

وبعض أصوات تقوم كوسائط تنظيم وترميم مع المفخمات والمرققات. ومن أمثلة المرققة في الحديثات مما جاء به الشيخ الزموري: (يئس، نبز، عاث، جذب). وقلت الصوامت المرققة أصلا ويبقى المرقق غير الأصلي المطاوع للموقف والحالات وهو ما يسمى (المتوسط) والمتوسط نوعان متوسط ما بين الشدة والرخاوة وهي الصوامت المجموعة في عبارة (لم يروعا)⁹⁷

أما توسط الكميات الصوتية، فأصواته ثلاثة وهي (ق خ غ) ومن الملاحظ، أن الشيخ الزموري، لم يعتمد كميات التشكيل، كعامل من عوامل التبدلات في المبنى والمعنى؛ وعلة ذلك في ما يبدو، أنه كان مرتبطا بمحتوى متن فتح اللطيف، وفيه لم يوجد هذا لتوجه، وعلة ذلك أيضا أن صاحب المتن لم يتعرض للتبدلات الصوتية كالإدغام؛ ولو تعرض لهذه الظاهرة لاضطر إلى الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها كما فعل غيره، ولكنه إهماله لذكرها جعل شارحي متنه لا يتعرضون لها. ولكن، كان للشيخ أن يشير أو يعلق أو ينبه إلى تلك الحالة، غير أنه لم يفعل ولا لوم عليه في ذلك.

وظيفة المكونات

حتى تتحدد دلالة المفردة و شكلها، ينبغي الرجوع إلى الصوامت والصوائت الداخلة في تركيبها؛ و التفخيم و الترقيق لا يعرف إلا بالعودة إلى نوعية الصامت و الصائت في المفردة. والصفات و المواقع، لا تعرف إلا بمعرفة موقع و صفة كل صامت من صوامت المفردة. هذا ما جعل للصوامت و الصوائت وظيفة معينة.

وظيفة الصوامت

تكمن وظيفة الصوامت في نوعها و دلالتها؛ كدلالة النون في اجتماعها مع الباء على مطلق الظهور في مثل: (نبزونت ونبع ونبغ ونبس...)⁹⁸ ودلالة الغين مع المد الخفاء في مثل (غاب وغار وغاص) و لموقعية الصوامت وظيفة في تحديد المعنى وتنويعه، وتعد التقلبات الاشتقاقية أكبر دليل على تبيان وظيفة الصوامت، و لنا مثال من جدول الحداثيات؛ وهو جذب و جذب وتقلباتها هي (بجذ، بذج، جذب، جذب، ذبج، ذجب). فهذه التقلبيات نوعنا المعنى، و توصلنا إلى توليد مفردات جديدة وتنويعها لتوظيفها بحسب الحاجة إليها.

ومن هذه المولدات، المستعمل ومنها المهمل. فالجذب (مدك الشيء، و الجذب لغة تميم. سيبويه: جذبه، حوله عن موضعه)⁹⁹ وأصل المعنى حاصل في الجميع ومتنوع باختلاف المباني، واختلاف المباني يترتب عليه اختلاف المعاني. فصيغة بذج تعني (الحمل)¹⁰⁰ و ذبج تعني (الطعام الذي يشرح)¹⁰¹ وبجذ وذبج مهملتان.

98 - فتح اللطيف، ص، 395.

99 - ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص، 422، ع، 3.

100 - نفسه، ج، 1، ص، 189، ع، 3.

101 - نفسه، ج، 1، ص، 1056، ع، 2.

وتنوعت دلالة جذب بتنوع صوامتها، التي حضرت بنسبة ناقصة؛ راجعة لغياب يجذ وذجب. ورجوع ذلك لسبب صوتي وهو تباعد المخارج كون الذال من بين الأسنان، والجيم شجرية. و الباء شفوية ، وهذا ما لم يستحسنه العرب للتباعد الحاصل بين الحروف مما خلق تنافرا بينها ،¹⁰² و دليل على أهمية وظيفة الصوامت في تحديد و تنويع الدلالة.

الصوائت الأصول والفروع

والصوامت منها الأصول و منها الفروع. والصوامت الأصول هي التسعة والعشرون المذكورة في كتاب سيبويه في قوله: (فأصل حروف العربية تسعة و عشرون حرفا"¹⁰³ أتى على ذكرها عددا وأعيانا. ثم أردف الأصول بالفروع فقال وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار... ثم قال وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة...)"¹⁰⁴ وهذه الطريقة التي تتبعها سيبويه في الحديث عن الصوامت قال في الغاية منها (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك و يجوز فيه، وما تبدله استقالا كما تدغم وما تخفيه)"¹⁰⁵ وهنا نظهر أهمية الأصوات في مجال دراسة المفردات.

¹⁰² - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح، عبد المتعال الصعيدي، ص، 54 و 55.

¹⁰³ - سيبويه، الكتاب، ج، 4، ص، 431 .

¹⁰⁴ - سيبويه، الكتاب، ج، 4، ص، 432 باختصار.

¹⁰⁵ - نفسه، ص، 436.

ودراسة المفردات تنتمي إلى مجال الصرف، وهي المستوى الثاني من المستويات اللسانية، وللصوامت الدور الفعال في هذا المستوى وكل دراسة تخلو من اعتماد الجانب الصوتي في تحليل الظواهر وتعليلها تعد ناقصة، في منهاج ما توصل إليه الدرس الصوتي الحديث وفي ضوء ما تنبه عليه القدماء سيبويه وبعض لاحقيه.

هذه الصوامت الأصول الداخلة في تركيب المفردات، هي المنوعة و المولدة لها؛ و لدلالاتها. وتغيير موقع صامت واحد، يؤدي إلى تغيير المعنى. وأما الصوامت الفروع الأصوات التي يتدخل الشكل في تحديدها.

وظيفة الصوائت

إذا كانت وظيفة الصوامت هي تحديد المعنى و تنويعه. فإن الصوائت قرينة الصوامت في الدراسة اللغوية و الصوتية، فللصوائت وظيفة مثل الصوائت. على الرغم من اهتمام القدامى بالصوامت دون الصوائت، و هذا غير منطقي لأن الصائت له من الأهمية ما للصوامت. باعتبار الصائت روحا للصامت¹⁰⁶ و للصوائت وظيفة في كل تركيب، وفي كل مستوى.

وما يهمننا في هذا الموضع، هو وظيفته في المباني الإفرادية التي يكون الصائت فيها وسط المفردة. ومن الحديثيات نجد (سئل، نزر)، ولما كان الضم علم الثبات، كانت الأمثلة المشتملة عليه، تدل على ثوابت معنوية، وذلك في مثالي (علم وفهم). حيث كان للكسر فيهما وظيفة التبدل والتغير. هذا عن الصوائت القصيرة الأصول، بغض النظر عن الصوامت الأصول والفروع.

¹⁰⁶ - ينظر المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية مكي درار. ص 64.

وما ينتهي المسار إليه هـ و، أن للصوائت وظائف أساسية في تشكيل المباني وتنويع المعاني، وأن كثيرا من الدارسين العرب، تنبهوا لهذه الوظائف، وأحسنوا توظيفها، من زمان سيويه إلى وقتنا، ومن الدارسين من جهلها أو تجاهلها، كصاحب البسط والتعريف؛ ومنهم من فهمها كما يبدو من واقع الشيخ الزموري، وأشار إليها ولم يوظفها، لأنه كان ملتزما بشرح متن معين يعبر عما فيه بصدق، وهنا كان للشيخ الزموري موقفان، واحد يلزمه بالشرح الصادق المعبر، وآخر يبيح له أن يعلق ويوضح ويشير إلى ما في المتن؛ مما كان له أن يكون فيه، وسيظهر هذا التوجه في حديث الصيغتين الذاتية والوصفية لاحقا.

الفصل الثاني

الصيغة الذاتية

تصدير

سأخصص هذا الفصل من البحث، للصيغة الذاتية. وذلك بعدما أن افردت بالحديث الصيغة الحديثة في الفصل الأول من هذا البحث. كونهما متصلين مرتبطين ببعضهما. فلا فعل بدون فاعله. ولا ذات كائنة بدون عمل تقوم به. فالذات تقوم بأفعال هي معيار وجودها، لأن (كل ذات موجودة هي نتاج فعل سابق لها، و تسبب في وجودها)¹⁰⁷ "و هذا الفعل لن يتحقق بدون ذات فاعلة.

و قدمت الحديث عن الصيغة الحديثة. بدل الذاتية التي كان ينبغي البدء بها، وذلك لاعتبارها الفاعلة للفعل، المتسببة في وقوعه. وهي الكائنة الثابتة، وهو المتغير المقام به. ومن هذه الرؤية كان ينبغي تقديم الذات على الحدث. لكن طبيعة الدراسة، وكذا واقع وجود الفعل قبل الفاعل في العملية الإسنادية، وكذا تسبب الفعل في وجود فاعله، فسح المجال للبدء بالحديث.

مفهوم الصيغة الذاتية

الصيغة الذاتية هي التشكيلة الصوتية ا لمعبرة عن كل ما يتعلق بالأسماء، مما سميناها الذوات. و الذات في المفهوم المعجمي هي (ما يصلح لأن يحلم و يخبر عنه)¹⁰⁸ "وينضوي تحت هذا المفهوم جميع الموجودات المادية و المعنوية التي ندركها بالحواس كالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد. أو بالعقل المجرد كالخير والجنة والجزاء وأضدادها.

107 - رفاس سميرة، الملامح الدلالية، ص، 132.

108 - لويس معلوف، المنجد في اللغة و الأدب و العلوم. ص، 240.

ومفهوم الذات عند النحاة و علماء التصريف، هي ما علق على مسمى كطفل وقط وريحان. (و المقصود بالاسم المعين أسماء الذوات كرجل و كتاب وجبل و بيت وأرض وسماء)¹⁰⁹ وهذا في مجال المدركات الحسية دون العقلية المجردة. وفي تعريف الاسم من حيث أصله وأصوله قالوا فيه: (اسم الشيء علامته... وهو مشتق من السمو ويعني الرفع. كما أن الاسم رسم و سمة توضع على الشيء ليعرف به. كما أن الاسم هو اللفظ الموضوع على الجوهر، أو العرض لفصل بعضه من بعض.)¹¹⁰ و هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة وقسيماته الفعل والحرف .

وفي أصل التسمية، اختلف القدماء فالاسم عند الكوفيين (مشتق من الوسم وهو العلامة، لأن الوسم في اللغة العلامة، و الاسم وسم على مسمى، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو، و الاسم يعلو على المسمى)¹¹¹ ولكل من الفريقين حجته، إلا أننا إذا رجحنا الجانب العملي الصوري كان الوسم أقرب باعتباره علامة على الكائن، وإذا رجحنا الجانب الفكري النظري كان السمو أقوى وأرجح لأن كل مسمى يسعى إلى تحقيق المكانة العالية في محيطه، وأن الذي يختار للمولود اسمه تلك هي رؤيته ومبتغاه من التسمية.

109 - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص، 91.

110 - ابن منظور، لسان العرب، ج، 1، ص، 212، باختصار وتصرف..

111 - الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين و البصريين و الكوفيين، ج1، ص، 96.97.

ومن نظرة أخرى يمكن القول إن ترجيح أحد الرأيين يقتضي أن ننظر إليه نظرة تاريخية، ففي بداية التحضر الإنساني كانت توضع للكائنات علامات تعرف بها، وكان لكل جماعة علامتها وخصائصها، وبعد أن تطورت الحياة الاجتماعية وتنوعت مجاري الحياة وحصل للفرد قوته اليومي ولباسه الواقى من الحر والبرد، تطلع إلى ما فوق الحياة اليومية وظهرت نزعة الحكم والتحكم، فانتقل الفكر البشري بتطلعاته من مجرد التفكير في حاجاته اليومية إلى ما فوقها فظهرت أسماء تدل على ذلك منها : (قعقة وصعصة) ومثلهما مما يبعث خوفا واضطرابا في المتلقي. والعرب تختار ما رق ولان من الأسماء للإناث وما غلظ وخشن للذكور، وقالوا الإناث لنا، والذكور لغيرنا أو على غيرنا.

الانتظام والاتساق

البحث والتعليم شقيقان رفيقان، كل منهما يسعى إلى الاطلاع والاكتساب، والفرق بينهما أن البحث يغلب عليه طابع الاكتشاف، والتعليم يغلب عليه طابع الاكتساب. ومن حيث المنهجية المتبعة في كل منهما، يكون البحث مستويات، والتعليم وحدات، هذه الوحدات يسميها أهل الاختصاص التربوي (مركز الاهتمام)؛ وتعني أن التعليم يسير في وحدات داخل حلقات، بحيث يكون موضوع من المواضيع، أو مفردة من المفردات، أو محور محورا تدور عليه عدة معارف كمفردات الأسرة، أو الزراعة، أو التجارة. وذلك بحسب مستويات المتعلمين.

وهنا نلاحظ الشيخ الزموري يميل إلى مراعاة (مركز الاهتمام) وإن لم يصرح به، فنجدته يختار مفردات متماثلة أو متجانسة، يعتمد عليها كأمثلة لبعض الموضوعات، فهو يستعمل مثلا مفردة (ذهب) في مجال الحديثات كفعل ماض، ويستعملها في مجال الذاتيات كاسم، والذهب مفردة مؤثرة لافتة للانتباه، في

جميع مجالات الحياة الإنسانية؛ ومن الأمثلة على ذلك قولهم: (رأيت الناس قد ذهبوا، لمن نده ذهب، ومن ليس عنده ذهب، فالناس عنه قد ذهبوا)¹¹² "ومن هنا، يفهم مدى مراعاة الشيخ لتوظيف المفردات في الأمثلة التعليمية. وإن كانت هذه المفردات من نص المتن، فإن الشيخ اختارها وأقام العلاقة بينها ووضعها في مواضعها.

مع المفاهيم

المفهوم مفردة اختصت بموضوع أو مجال أو مستوى، فضايق معناها بعد أن كانت عامة، أو أنها مفردة انصرفت إلى التعبير عن الحقيقة دون المجاز، والمشهور من المفاهيم عند اللغويين قسمان: مفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة¹¹³ "ومفهوم المفردة عندما يضيق ويتخصص ويتحدد يسمى مصطلحا غالبا، والمصطلح أصله (صلح) وهو المنطوق الصالح المتفق عليه لاستعماله في مجال أضيق من مجال المفهوم. ومن ذلك مفاهيم الذوات ومصطلحاتها دون أسمائها.

لكل كائن علامة صوتية تطلق عليه عند وجوده لتخصيصه وتمييزه عن غيره، ويسمى ذلك المنطوق اسما، وفي معنى معناه اختلاف عند اللغويين العرب.

الجدول العددي

المباني	المفرد	المثنى	الجمع	الثلاثي	الرباعي	الخماسي	السداسي
170	159	02	09	35	119	09	07
النسبة	93,52	1,17	5,29	19,41	70,00	5,29	4,11

112 - هذه العبارة من عند الأستاذ المشرف، وقد استأذنته في توظيفها هنا فقبل.
113 - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص، 247، مط، دار الندى، الاسكندرية،

04	03	01	02	03	02	01	الرتبة
----	----	----	----	----	----	----	--------

مكونات الجدول

لقد اشتمل هذا الجدول على سبع خانات، تحتها وديان عددية، ولكل عدد معدود، ولكل معدود مرجعية وخلفية، وأول الوديان مخصص للمفاهيم العامة الكبرى، ثم قسمت كل جدول إلى قسمين رئيسيين، فسميت هذا الجدول (العددي) وفيه عددان تحتها معدودان رئيسان. وتحت القسم الأول ثلاث خانات عددية، مخصصة لأنواع الصيغة الذاتية وهي المفرد والمثنى والجمع، وخصصت القسم الثاني لمكونات الصيغة الذاتية، وهي: الثلاثي، والرابعي، والخماسي، والسداسي. وقد وقفت عند السداسي، مراعاة للتقسيم العام الغالب في التصريف، وهو خمسة صوامت في مثل (سفرجل) لكن صاحب المتن، جعلها سبعة بقوله:

(وبالزيدة لسبعة تصل... كقولك احميرار ثوب المحتفل)¹¹⁴

ويظهر أن في هذا المثل خلط بين حقيقة الاسم الجنس والعلم والمشتق، لأن (احميرار) ليس اسم جنس ولا علم وإنما هو (مصدر) (احماراً) بتشديد الراء إذا صار أحمر من الحمرة)¹¹⁵ وهو هنا مشتق.

محتويات الوديان

مجموع المباني الذاتية مائة وسبعون، موزعة من حيث العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، ومن حيث الجنس إلى مذكر ومؤنث، ويظهر من النظرة العددية، أن

114 - فتح اللطيف، ص، 56.

115 - نفسه، ص، 56.

للمفرد الغلبة والشيوع على ما سواه، كما يلاحظ عدم التدرج والتوافق في التوظيف، فإذا احتل المفرد صدارة الترتيب، فكان التدرج يقتضي أن يحل المثنى في الرتبة الثانية. ولكن الذي وقع، أن الجمع هو الذي احتل هذه الرتبة.

والمتبع لهذه الظاهرة، يرجع علتها إلى مراعاة السهولة في توظيف المفردات، وذلك أن كتاب فتح اللطيف، هو كتاب تعليمي، مستقى من منظومة تعليمية. وأن المجال الموجه إليه، هو ليس أهل الاختصاص، وإنما هو للمبتدئين، على أن يأخذ منه المتخصصون نصيبا. ومن هنا، كان التمثيل بالمفرد أعم، وذلك لقلّة مكونات صيغته من جهة، ولسهولة علامتها الإعرابية من جهة أخرى.

وقد التحم هنا العامل الصوتي في مستوى النطق بالعامل الاقتصاد في الجهد. ولوطبنا من غير الشيخ الزموري، أن ينجز لنا برنامجا تعليميا وظيفيا، في المجال الصرفي، يفيد منه المبتدئون والمتدرجون، لاختار لأمثله مفردات متفردة المعنى، لتكون خفيفة على الفكر والأداء، ولكانت معربة، لتكون طليقة مرسلة سهلة على النطق بها.

هذا حال القسم الأول من الجدول، أما القسم الثاني منه (قسم عناصر التركيب) فسيظهر منه خلاف المنتظر، مما سبقت الإشارة إليه، وهو غلبة صيغة الرباعي على غيره، وكان المتوقع أن تكون للثلاثي صدارة العدد، ولكنه اكتفى بالمرتبة الثانية من بعد الرباعي، وعلة ذلك _____ في ما يبدو _____ يعود إلى خلفيات التفكير اللغوي للناطقين بالعربية. وهم قد مالوا في نطقهم وآدائهم إلى الثقل في النطق بالاسم، والاسم علم على المسمى، وينبغي أن يكون هذا الاسم علما في موطنه، بارزا بين مواطنيه،

وذلك بثقل اسمه شكلا ومحتوى. ونجد ابن مالك، يتحدث عن الأسماء تحت عنوان (العلم) فيستهل نظمه بقوله: (اسم يعين المسمى مطلقا... علمه كجعفر وخرنقا)¹¹⁶ فهو هنا ينطلق من اسمين، واحد للإِنسان، والثاني للحيوان، وهما رباعيان، ثم يأتي بالثلاثي من بعدهما فيقول: (وقرن، وعدن، ولاحق، وشذقم، وهيلة، وواشق)¹¹⁷ فمن بين ثمانية أسماء، يأتي باسمين ثلاثيين فقط، هما (قرن وعدن) وإن كان الشيخ الزموري رجح الحديث والتمثيل بما فوق الثلاثي، فذلك أنه كان شارحا مفسرا ملتزما لما في متن البسط، وصاحب البسط، تابع في تفكيره اللغوي لما قالت به العرب، والعرب رجحوا الثقل على الخفة هنا، وكان ترجيحهم معللا، بما يدور في خواطرهم، من إرهاب العدو بالاسم الخشن الثقيل المروع، في مثل (صعصعة وقعقة) وكان لمجرد سماع هذه الأسماء، أثر بالغ على السامعين، واللغة أصوات، والصوت مدرك سمعي، فاعل مؤثر في السامعين.

وهناك ظاهرة أخرى تلفت الانتباه وهي: غلبة المفرد على غيره في العدد الجنسي، في مقابل غلبة الرباعي على غيره في مكونات الصيغة. وكان المتوقع على أساس الاتفاق والاتساق، في مراعاة العدد، أن يقترب المفرد من الثلاثي أو الخماسي، وأن يقترب المثني من الرباعي أو السداسي. حتى يحصل توافق وتناسق بين الأعداد والمعدودات، ولكن حصل غير المتوقع من المنظور اللغوي.

وجميع ما سبق الحديث عنه لا يتضح أمره إلا بعد استعراض جميع المباني بأعدادها ومعدوداتها على اختلاف مكوناتها ومبانيها مما يسمى عند الباحثين بمادة

116 - متن ألفية ابن مالك، باب العلم، وينظر: المجموع الكامل للمتون، ص، 187، مط، دار المعرفة، المغرب الأقصى. د. ب. ت.

117 - متن ألفية ابن مالك، باب العلم، وينظر: المجموع الكامل للمتون، ص، 187، مط، دار المعرفة، المغرب الأقصى. د. ب. ت.

التشكيل، أو ما يعرف بعناصر التكوين وفي جميع الحالات هي الوحدات الصوتية العاملة في بناء الصيغ الإفرادية وتشكيلها.

المادة

لقد ركّزنا في ما تقدم عن الصيغ وتوقفنا كثيرا عند أهم نصر فيها وهو المسمى (عين الفعل) ونعود هنا إلى الذوات لتحليل مبانيها، من خلال تشكيلاها الصوتية، وذلك أنّ اللغويين لم يخصّصوا للذوات أوزاناً كالذي خصّصوا به الحدّيات. ويتحدّث (سيبويه) عن مكوّنات الذوات، فيرى أنّه (ليس في الدنيا اسم أقل عددا من اسم على ثلاثة أحرف، ولكنّهم قد يحذفون ممّا كان على ثلاثة حرفا، وهو في الأصل له ويردّونه في التّحقير والجمع¹¹⁸) وإن كنا نلاحظ، زيادة في صوامت الصيغة على مجموع أصولها أثناء التّحقير، والجمع مثل (رجل، رجيل، ورجال).

و قد اتّفق معظم اللغويين، على أنّ أصل الصيغة العربيّة ثلاثي؛ حرف يتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه¹¹⁹ ومن آراء المحدثين حول أبنية الأسماء أنّ الأصل الثلاثي، هو النّواة الأساسيّة وإن وجدت آراء تخالف هذا الرّأي؛ فإنّ الأغلبية تجمع على ثلاثيّة أصول المباني الإفرادية. مع اختلاف الآراء والتوجهات¹²⁰

118 - الكتاب، سيبويه، ج 3، ص 322، س 2.

119 - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيديج 1، ص 55، تح، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط1، (1967م).

120 - وقد قام عبد القادر عبد الجليل، بدراسة إحصائية باستخدام الكمبيوتر، في معجمه الجيم والكمبيوتر، توصّل إلى أنّ: "عدد الجذور الثلاثية بلغ 2931 جذرا بنسبة 80,93%، والجذور الرباعية 647 بنسبة 17,97%، والجذور الخماسية 39 بنسبة 1,08% نفسه، ص 44، بتصرف.

وجاء في (متن الشافية) عن أبنية الاسم الثلاثي أنّه للاسم الثلاثي المجرد عشرة أبنية، والقسمة تقتضي اثني عشر، سقط منها فعل وفعل استثقلاً وجعل الدليل منقولاً، والحجك إن ثبت فعلى تداخل اللغتين في حرفي الكلمة، وهي فلس كَتِفْ عَضْدُ جَبْرٌ عَنَبٌ إِبِلٌ قُفْلٌ صَرْدٌ عُنُقٌ¹²¹ وجميع ما جاء به صاحب المتن، هي أمثلة دون ذكر موازينها. مع أنّ المباني الثلاثة الأولى معللة صوتياً، فالصفة الأولى مضمومة البداية مكسورة الوسط، وهي مقبولة في أصلها لمحيئها على هيئة الماضي المبني للمجهول، والثانية منعدمة في أصل العربية لمحيئها على صيغة (فعل) التي قال فيها سيبويه ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مضموم¹²² وإن وجد في مثل (السُّنُونُ) فهو إمّا شاذ أو غير عربي؛ والتعليل الصوتي لهذه الصيغة الصرّفية، أنّ النّاطق بها ينتقل من أسفل إلى أعلى متصعداً وهو ثقيل مستقبح.

والملاحظ، أنّه في الحديث عن الأفعال، يقول الدّارسون (أوزان الأفعال) وحينما يتحدّثون عن الأسماء يقولون (أبنية الأسماء) ولا يأتون للأسماء بأوزان ثم يقيسون عليها؛ وإنما يأتون بمواد ويسيرون عليها أسماء أخرى تشبهها، وتوافقها في الوزن، أي في عدد الصّوامت، وترتيب الصّوائت.

121 - ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 35. وينظر، التّصريف الملوكي، ابن جني، ص 04/03، تصحيح، وشرح، محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، ط 1، مط، شركة التّمدن الصناعية، مصر.

122 - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 146. س 12. وقال في موضع آخر: (ليس في الدنيا حرف أوله مكسور وثانيه مضموم).

وما جاء به (ابن الحاجب) من أمثلة وأدرجها ضمن الأسماء، ليست كلها أسماء ذوات، بل فيها نظر؛ إذ نجد العنوان يشير إلى أبنية الأسماء، وهو في تعريفه وتمثيله لها يقحم معها الأوصاف، وكأنّ الذّوات لم تحقّق له مادّة كاملة، فلجأ إلى الأوصاف وأضافها إليها، وجعل لها عشرة أبنية، وإن كانت القسمة تقتضي اثني عشر، فقد أعطى لصامت صدر الصّيغة الذّاتية ثلاثة صوائت (الفتحة والكسرة والضمة) باستثناء السكون وذلك لتعذر الابتداء به، ولعينها أربعة صوائت (فتحة وكسرة وضمة ثم سكون) وبإجراء عملية ضرب، يكون مجموع الصّيغ اثني عشر صيغة، تغيّر شكلها وتشكيلها¹²³.

ولم يذكر (ابن الحاجب) صوائت لام الصّيغ الذّاتية؛ لأنّه اعتبر اللام صوتاً يُوقَف عليه، فهو دائماً في الصّيغ المذكورة منوّن؛ ولكنّه أهمل التّنوين ورجّح الجانب الصّرفي على التّحوي، في حين أنّ التّنوين هام وأساسي في الصّيغ الذّاتية، لأنّه يلوّن ويغيّر شكل الصّيغ ومادتها، وتحليل التشكيلات الصّوتية للأبنية الذّاتية الثلاثية، ندرج فيما يأتي جدولاً موضحاً لها؛ بدءاً بالفتح، فالضم، والكسر، والتّنوين والمكرو¹²⁴ ثمّ السكون.

جدول التّلوينات الصّوتية للثلاثي

123 - التحولات المورفولوجية والتركيبية ، في ضوء الدراسات الصوتية، رسالة دكتوراه، سعاد بسناسي. مخطوط.

124 - أثّرنا ذكر مجموع التّنوين والمكرو¹²⁴ (التضعيف)، حتى يكتمل الحساب من جهة، ولأهمية التّنوين كما ذكرنا من جهة أخرى، ولنا عودة إليه، من خلال تحليل مكّونات الجدول، وكذلك أهمية السكون جعلتنا ندرجه؛ قصد تحليله. ويراجع ذلك، في التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.

المكوّنات	الصيغ	الصوائت	الفتحات	الضمّات	الكسرات	التنوين	الكُرور	السكون
ثلاثيّة	عشرة	30	07	05	05	10	00	03
النّسبة		23,3	16,66	16,6	33,33	0,0	10,	%0
		3	%	%6	%	%	%	%

مع مكوّنات الجدول

يظهر في هذا الجدول، شيوع التّنوين وتقدّمه على غيره، متبوعاً بالفتح، وتوافق

صائتا الكسر والضمّ، وتأخّر السكون الذي لم يعتبره اللغويون صائتاً، وشيوع

التّنوين هنا، أمر مهم بالنّظر إلى قوالب الصّيغ ومكوّناتها، ومن المتّفق عليه أنّ

الذّوات لا يدخل السكون أواخرها، وما جاء هنا، جاء في وسط الصّيغة

الحديثيّة، وصائت وسط الصّيغة مجاله الحديثيات، وغير السّاكنات الأواسط هنا،

فيها نظر عند الصّرفيين العرب.

وهناك قاعدة تذهب إلى أن: كلَّ اسمٍ ثلاثي ساكن الوسط، يجوز تحريكه،

وتسكينه، ويصبح في جميع الصِّيغ الذَّائِيَّة الثلاثيَّة وجهان: الحركة والسكون؛

والسكون ضرب من التَّمكين.

ومن أسماء التَّنوين اللَّاحِق بالذَّوات، تنوين التَّمكين؛ وهو علامة للأمكن

عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستثقلون¹²⁵ وإذا شاع التَّنوين

هنا، فمعناه غلبة الخَفَّة على الثَّقُل، وإذا قلنا بهذا، يكون قد انتفى عن السكون

صفة الخَفَّة الموصوف بها عند معظم اللغويين، وهذه نظرة جديدة في كميات

الصَّوائت ووظائفها، بل وحتى في تصنيفها.

ولا ننساق مع الصَّوَّات هنا كثيرا، لأنَّ الذَّوَات لا تعمل فيها الصَّوَّات عمل

الصَّوَّات، وإن كان للصَّوَّات تأثير عليها، فهو دون مكوِّناتها من الصَّوَّات،

وإذا كان التَّنوين موقعه نهايات المباني الذَّاتِيَّة، فإنَّ الصَّوَّات العاملة في تحديد

المباني موضعها النَّهايات غالباً، وفي الوقف عليها بالسكون إزالة للصَّائت من

نهاية الصَّيْغة الموقوف عليها¹²⁶.

وبالرجوع من جديد إلى أسماء الذَّوَات الوارد ذكرها من قبل، نجد أنها كلها
منوَّنة مصروفة فهي من المتمكِّن الممكن، وتكرَّر التَّنوين في جميع وديان
الجدول شكلاً ونطقاً، وظهرت النُّون معبرةً بغنَّتْها عن تمكُّن جميع ما ورد من
الأسماء، والتَّنوين نون ساكنة منطوقة غير مرقونة عند اللغويين.

ومن هنا، فهي وسط بين الصَّوَّات والصَّوَّات، أو لنقل: التَّنوين هو الصَّوَّت
الذي يجمع بين الصَّامت والصَّائت؛ وهو علامة التَّمكين، ومن نظرة أخيرة

للجدول، يظهر أنَّ التَّنوين الذي هو صورة صوتيَّة منطوقة مرسومة، هو علامة التَّمكين. ومن بعد هذا، يأتي حديث أبنية الأسماء الرباعيَّة.

مكوّنات الصَّيغ الرباعيَّة

للصَّيغ الصَّرْفِيَّة الإفراديَّة الذاتِيَّة الرباعيَّة أربعة أبنية، قال فيها ابن الحاجب: وللرُّباعي خمسة: جَعْفَرٌ، زِبْرِجٌ، بُرْثُنٌ، دِرْهَمٌ، قِمَطَرٌ، وزاد الأخفش نحو: جُخْدَبٌ¹²⁷ وجاء صاحب هذا النّص، بأمثلة للأسماء الرباعيَّة؛ أمّا أوزانها فهي: (فَعْلَلٌ، وَفَعْلَلٌ، وفُعْلَلٌ، فِعْلَلٌ، فَعْلٌ + فُعْلَلٌ) وهذا الوزن الأخير، ذكره (الأخفش) وبه يكون عدد أوزان الصَّيغ الرباعيَّة ستَّة.

تكرّرت الكسرة أربع مرّات في الصَّيغ الآتية: (دِرْهَمٌ) في موقعيَّة البداية،

ومرّتين في (زِبْرِجٌ) حيث جاءت فاؤها ولامها الأولى مكسورتين، و(قِمَطَرٌ)

كُسرت فاؤها كذلك؛ ثم تليها الضمّة ثلاث مرّات، في: (بُرْثُنٌ) مرّتين وفي

(جُخْدَبٌ)؛ وفاقت الفتحة مجموع صائتي الضمّة والكسرة؛ حيث بلغ عدد

الفتحات في الصَّيغ الرباعيَّة خمساً، واحتلّت بذلك الصّدارة، وبقي نزاع

الشيوع بين الكسرة الدّقيقة الرّقيقة التي فاقت الضمّة هنا، وتأخّرت بذلك

الضمّة عنها التي يقال عنها، إنّها دليل القوّة والثّبات في مباني الصّيغ الصّرفيّة

الإفراديّة، وبخاصّة الحديث منها¹²⁸.

ونخلص من ذلك، إلى أنّ الرباعي من الصّيغ الذاتيّة، لا بدّ من إسكان ثاني صوامته أو ثالثها، وتعليل ذلك صوتي؛ يتمثّل في تحقيق الانسجام والتّوازن بين المكوّنات، وتحقيق تكامل نطق الصّيغة، الذي يحصل بالزيادة أو النقصان. والملاحظ، أنّ هذه الأوزان تعدّدت أشكالها؛ لاختلاف صوائت صوامتها.

وما يلفت الانتباه فيها، أنّ فاءها غلب عليها صائت الكسرة — من بعد الفتحة الحيادية الشائعة في غالب الأحوال — لأنّ كمية الكسرة في حدّ ذاتها، أقوى من غيرها، كما أنّ كثيرا من الصّيغ تمال عند النطق بها نحو الكسر¹²⁹ ولتحليل التشكيلات الصّوتية للصّيغ الذاتيّة الرباعيّة، هذا تلخيص لمكوّناتها — كما رأينا مع الثلاثيّة — في الجدول الآتي¹³⁰

128 - التحويلات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.

129 - الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، مكي درار، ص، 125.

130 - التحويلات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي.

جدول تشكيلات الرباعي

المكون	عدد	الصيغ	الصوائ	الفتحات	الضمات	الكسرا	التنوين	المكرور	السكون
رباعية	06	24	05	03	04	06	01	05	
النسبة			20,8	12,5	16,6	25%	4,16	20,8	
			3%	6%	3%				

وقفة عند الجدول

يظهر من مكوّنات الجدول السّابق للتّشكيلات الصّوتيّة للذّوات الرباعيّة، أنّ مجموع صوائتها الإجمالي (24) صائتًا، شاع فيها التّنوين، مقارنة ببقية الصّوائت؛ وبلغ مجموعه ستة صوائت مكرورة، بنسبة (25 %)؛ حيث حافظ على رتبته التي وجدناه عليها في الثلاثيات، ومن بعده الفتحة والسّكون في رتبة واحدة بمجموع خمسة صوائت؛ مع أنّ التّنوين والسّكون يلتقيان في التّركيز الصّوتي؛ ومن هناك، قالوا في التّنوين (هو نون ساكنة). ومن بعدها الكسرة، فالضّمة ثمّ المكرور. ومن هذه الرّتب والجاميع، تظهر أهميّة السّكون من بين الصّوائت العربيّة؛ من خلال ما شغله من مساحة في مجال الذّوات، وفي الصّيغ الخمسة الأولى كان موقع السّكون منها مع الصّامات الثّاني، وفي الصّيغة السّادسة

مع الصّامت الثالث، وسبقته الكسرة في صيغتين والضمة كذلك، وجاء مسبوقا بالفتحة في صيغة واحدة¹³¹". وهذا حديث أبنية الصيغ الذاتيّة الخماسيّة.

تشكيلات الخماسي

للسيغ الذاتيّة الخماسيّة أربعة أبنية، ذكرها (ابن الحاجب) في قوله:

(وللخماسي أربعة: سَفَرَجَلٌ، قِرْطَعُبٌ، جَحْمَرَشٌ، قُدَعَمِلٌ)¹³² وإن حيدنا

صيغة (فَعِلٌ)¹³³ التي أتت صفة؛ لأنّه ذكر أمثلة، ولم يأت بأوزان، فقد

استدرك هذا الأمر صاحب (فتح اللّطيف) وذكر الأوزان وألحقها بأمثلة،

ورغم هذه الإضافة المسجّلة؛ فإنّه كان يمزج بين الذوات والأوصاف. وذلك

ما سجّلناه في حديث (ابن الحاجب) عن أبنية الصيغ الذاتيّة الخماسيّة، ممّا

جعلها خمسة أبنية، وهي في الحقيقة أربعة للسبب المذكور سابقاً.

131 - التحولات المورفولوجية والتركيبية في ضوء الدراسات الصوتية، سعاد بسناسي

132 - ابن الحاجب، متن الشافية، ج، 1، ص، 47.

133 - فتح اللطيف، ص، 60.

وما نشير إليه ، في حديثنا عن أبنية الصَّيغ الذاتية الرباعية والخماسية، أنَّ فيها نظراً سيما ما يتعلَّق بعدد كلِّ نوع، ويرى (الأسترأبادي) في شرحه للشَّافية اعتماداً على الحساب، والتَّقليبات الاشتقاقية أنَّه كان ينبغي أن يكون للرباعي خمسة وأربعون بناءً، وذلك بأن تضرب ثلاث حالات الفاء، في أربع حالات العين، فيصير اثني عشر، تضربها في أربع حالات اللام الأولى أن يكون ثمانية وأربعين، يسقط منها ثلاثة لامتناع احتمال الساكنين؛ وكان حقُّ أبنية الخماسي أن تكون مائة وأحدا وسبعين¹³⁴ ومن هنا نقول: لو تحقَّق هذا العدُّ الحسابي لإثبات كلِّ هذه الصَّيغ، لكان شكل الصَّيغ أكثر ممَّا ورد سابقاً؛ ولكن ما جاء به شارح الشَّافية، كان مجرد احتمالات ولم تتحقَّق استعمالاً.

وجاءت فاء هذه الصَّيغ متنوِّعة الصَّوائت، بالفتح والضَّم والكسر، مفتوحة في (فَعْلٌ نحو سَمَوَالٌ) ومضمومة في (فُعْلٌ نحو خُزْعَبْلٌ) ومكسورة في (فِعْلٌ نحو قِرْطَعْبٌ)، وبالنَّظر لصوائت كلِّ من العين، واللام نجد التَّساوي كذلك؛ للعين فتحتان، وللام كسرتان، مقابل سكون واحد للعين، وغياب الضمة هنا.

وفيما ذكرناه من الصَّيغ، تظهر وظيفة الصَّوت بارزة في توجيه الأداء ورفع اللبس، فقد جاءت التَّلوينات الصَّوتية مميزة لكلِّ صيغة عن أختها، فالصَّوامت خمسة في كلِّ بناء؛ ولكن مواقع الصَّوائت هي التي نوَّعت هذه التَّشكيلات وميزت بينها.

بنسبة (15 %)، ومن بعدهما الضمّة التي كانت أقل شيوعاً فتكرّرت مرّتين بنسبة (10%) واحتلت موقعيّة البداية من صيغتين مرّة واحدة في كلّ منها؛ ومما يلاحظ هنا، أنّ شيوع الصّوائت في أبنية الثّلاثي والرّباعي والخماسي، كان يتقدّمها في الغالب الفتحة والتنوين والكسرة ثم السكون. ووجدنا في كلّ بناء صدارة الكسرة عن الضمّة — عدا تساويهما في الثلاثية — وللتذكير؛ فإنّ مجموع الكسرات والضمّات في الثّلاثي والرّباعي والخماسي كالآتي:

جدول صوائت الصّيع

الصّيع	الكسرة	الضمّة
الثلاثية	05	05
الرباعيّة	04	03
الخماسيّة	03	02
المجموع	12	10

وبعد الحديث عن أبنية الصّيع الذاتيّة، وتحليل مكوّناها، وتعليل وحركات أبنيتها، نأتي إلى حديث المركّبات من الصّيع، وتقسيماها، فيما هو آت.

الجدول النوعي

المباني	المذكر	المؤنث	الحقيقي	التصوري
170	131	39	152	18
النسبة	77,05	22,94	89,41	10,58

02	01	02	01	الرتبة
----	----	----	----	--------

محتويات الجدول

لقد اشتمل هذا الجدول النوعي التنويعي على أربع خانات وهي نصف مكونات الجدول العددي السابق. وفي هذا، حديث عن مفهومين مهمين هما: التذكير والتأنيث؛ والواقع والتصور، في الجانب الأول، التذكير ومقابله؛ يظهر غلبة التذكير على التأنيث، وهذا متوقع بالنظر إلى الخلفية الاجتماعية الثقافية للمجتمع العربي، والجزائري منه.

يوصف المجتمع العربي بأنه ذكوري، أي أن مكانة الذكر تفوق مكانة الأنثى في جميع مناحي الحياة الاجتماعية، وأن أغلب التجمعات والاجتماعات العربية يغيب عنها العنصر الأنثوي، وغياب الأنثى عن التجمعات واللقاءات يبعدها عن المشاركة في مختلف مناحي الحياة، وغيابها بذاتها يترتب عليه غياب ذكرها في التجمعات، وحلقات العلم والذكر، هي تجمعات أيضا، يغلب عليها طابع الذكور، ومن ثمة يقل ذكر الأنثى فيها.

ذكر عناصر المجتمع، فيه عزة واعتزاز بالعدد والنوع، والأنثى التي يقوم عليها بناء الأسرة في المجتمع، وتشارك الذكر في مختلف مناحي الحياة اليومية، وتعد مشاركتها ثانوية في نظر مجتمعه، وإذا نظرنا إلى أسماء الإناث التي ورد ذكرهن في متن البسط أو في تفسيره، وجدناها أسماء انموزية مثالية يتعذر ذكرها في معظم المواقف وكأنها لا تنتمي إلى شريحة بعينها، وكأن للجميع الحق أن

يتحدث عنها لأنها ليست ملكاً لأحد، والوارد ذكره من أسماء الإناث أكثره لغير الإنسان (عفرية وعفريت ونفرية) "137" وفي اختيار هذه الأسماء بهذه التراكيب الصوتية المتماثلة، مقصد تعليمي.

فهوم (عفرية) اللغوي هو الخبيث المنكر "138" والنفرية صفة لنفر "139" والمعنى الجامع بينهما محصور في التماثلات الصوتية وتكرار عناصر البناء، ففي المفردات الثلاث خمسة عشر صوتاً موزعاً بينها. لكن عند التحديد نجد أربعة فقط ثلاثة مكررة هي: العين والراء والفاء، وواحد متفرد هو التون.

ومعنى هذا أن صاحب المتن الشيخ اختار هذه العناصر الصوتية ليعبر بها عن تصور ذهني علمي تعليمي، في قوله: ورابعاً يزداد مثل عفرية ومثل عفرية ومثل نفرية "140" وفي العامة نقول عفرية نفريت. ولهذا الاختيار وقع اختيار الشيخ لشرح هذا المتن فهناك اختيار للاختيار، ومرد الجميع أن في التركيبة اللغوية عناصر صوتية لها خصائص وميزات مؤهلة.

لقد تردد في التراكيب كلها، خمسة كميات صوتية هي: العين، والراء، والياء، والتاء، والفاء. والمتردد الكلي أربعة وهي مجموع ما سبق ينقص منه النون، وأن مجموع الأصوات الخمسة عشر منضوية تحت الصامت المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وهذه الأصوات يسميها المعلمون عجين اللغة "141" والخاصية الصوتية

137 - فتح اللطيف، ص، 269.

138 - نفسه

139 - نفسه.

140 - نفسه.

141 - العجين التعليمي، هو وسيلة تعليمية تعطى للتلاميذ في السنوات الأولى ليمرنوا أصابعهم على المطاوعة في الكتابة والرسم.

التعليمية هنا أن الناطق يردد خمسة عشر وتا ولكنه لا يبذل جهدا إلا في واحد منها هو النون أما البقية فجميعها من ملف ذهني واحد. والملاحظ هنا أنه وقع توازن والتزان بين التذكير والتأنيث، (عفريت عفريّة)

وإذا أردنا التحقق والتأكد فسنجد اسما مؤنثا واحدا هو (سلمى) مع أن هذا الاسم ومعه (هند وليلى وسلوى) يعد انموذجا للحديث عنه والتمثيل به في مقابل زيد وعمر في التذكير.

ومن هذه النظرة يمكن القول: لقد خلا متن المصنف وشرحه من الحديث عن الأنثى، وكل ما جاء مؤنثا إما ما هو من قبيل التمثيل المطلق العام، أو لغير الأنثى الحقيقي، وهنا يظهر بديل وهو المؤنث غير الحقيقي وسميته التصوري.

التصور

قلت التصور في ما كان يمكن أن يسمى المجازي أو التخيلي، وكل منهما قد استعمل في مقابل الحقيقة والحقيقي، وما يقصد من هذا البحث عن الصورة الفكرية التي كان المؤلف والشارح يريد التعبير عنها وإبلاغها للمتلقين، ذلك أن الواقع علمي إبلاغي، وتعليمي تبليغي. فيه مرسل مبلغ هما الشيخان مؤلف المتن وشارحه، وفيه متلقي هو كل راغب في التعلم من الجنسين¹⁴² ومن مختلف الأعمار. وهنا نسأل، هل توصل شارح المتن إلى مواطن التبليغ، ومستوياته العلمية، ونوعياته الجنسية من ذكور وإناث.

يمكن التوصل إلى هذه الرؤية، من الوقوف عند المفردات المستعملة في متن البسط، وفي شرح مفرداته، وقد أشار صاحب المتن إلى هدفه ومبتغاه من هذا

المتن كقوله: علم عظيم القدر¹⁴³ ضبطت فيه كل ما جل¹⁴⁴ سلكت فيه مسلکا مهذباً¹⁴⁵ يبصر البادي ويذكر الشادي¹⁴⁶ وإذا وقفنا عند شرح هذه الأبيات فسنجد الشيخ اكتفى بشرح معانيها من غير تعليق على خطة صاحب المتن أو تعقيب عليه وقد أنهى صاحب المتن هذه الأبيات بقوله: والله استهدي وأستعين فو حسبي وهو المعين¹⁴⁷ وقد أنهى الشيخ الزموري شرحه لهذه الأبيات بقوله: اللهم أعنا على ما فيه رضاك، إنك البرالكريم والرؤوف الرحيم¹⁴⁸ وقد أنهى الشيخ شرح الأبيات بنقلها من المنظوم إلى المنثور.

إن المتتبع لعلاقة الشرح بالمتن، سيجد عمل الشيخ في كل ما تقدم ذكره، شارحاً أميناً، معبراً بدقة وضوح عن كل ما حواه المتن، ومن نظرة الصدق والأمانة والاعتزان، صار الشيخ مقيداً أسيراً لما في المتن، وكل ما يوصف به الشرح هو فقدان موسيقى النظم التي كانت في المتن.

صوتيات الجدول

إذا ترصدنا محتويات الجول بجميع خاناته ووديانه نجد فاعلية الصوت التصويرية ظاهرة في جميع المواضع، متجلية في مراعاة ما يسمى بالخفة في النطق والسهولة في الأداء— وقد صرح بهذا صاحب المتن بقوله: (سلكت فيه مسلکا مهذباً)¹⁴⁹ وقوله: (سهل كثير العلم)¹⁵⁰ فكان مبتغى السهولة في الشكل،

143 - صدر البيت الثاني ، ص، 40

144 - صدر البيت الرابع، ص، 40

145 - صدر البيت السادس باختصار وتصرف. ص، 40

146 - فحوى البيت التاسع، ص، 40 باختصار وتصرف

147 - فتح اللطيف، متن البسط، البيت الأخير، ص، 40.

148 - فتح اللطيف، ص، 44

149 - فتح اللطيف، ص، 40، صدر البيت السادس

وكثيرة الفائدة في المحتوى، هو مطلب الناظم، وكان اقتداء الشارح بمفردات المتن، وتوضيحها وتقريبها للمتلقى، إكمالاً للفائدة، وهما معا،

صاحب المتن وشارحه _____

يعملان في نهج لساني علمي تعليمي، خلفياته مبدأ _____

الخفة والسهولة، وغايته الإبلاغ والتمكين، ومرتكزاته العناصر الصوتية بجميع خلفياتها وغاياتها. فكان الشكل غطاء والمحتوى وعاء. وفي الجميع، اكتساب معارف جمّة مفيدة، بجهد قليل. وقد ظهر ذلك في مكونات الجدول السابق، وسيؤكد في اللاحق المخصص للعلامات.

جدول العلامات

المباني	المرفوعات	المنصوبات	المجرورات	التنكير	التعريف
170	139	20	14	125	45
النسبة	81,76	11,76	8,23	73,52	26,47
الرتبة	01	02	03	01	02

مكونات الجدول

هذا جدول لاحق بما سبق، ومتميز عنهما، ويظهر ذلك في عدد المكونات لكل جدول، فقد كانت في لأول سبعة وفي الثاني أربعة وفي هذا خمسة؛ وقد تخصص الأول بالعدد والثاني بالنوع والثالث بالعلامة، واللغة في عرف المختصين

أنظمة من العلامات، أما عند الغويين العرب وبخاصة القدماء فالعلامة تعني ملاحظة وظيفة الصوائت أساسا، في الحضور والغياب وهوما سموه الملفوظ والملحوظ مرة، والظاهر والمقدر مرة أخرى.

ولما كانت دراستنا تتسم بالأصالة، وهو القدم فإننا ننظر للعلامة نظرة القدماء (الحركات) بصنفيها القصير والطويل، والملاحظ منها مرتكزاتها المواقع والأكميات والأزمنة والكثافة، ومعنى هذا أننا هنا نسعى إلى تطبيق العوامل الصوتية في المباني الإفرادية ومن هنا يكون هذا الحديث هو الأقرب إلى النوان من غيره، لأن مراعاة فاعليات الصوائت ومؤثراتها ووظائفها في الأداء، هوما يعبر عنه بالصوتيات.

وإذا وقفنا عند الأعداد فإننا نجد المرفوعات تتصدر غيرها من العلامات، وتحتل الرتبة الأولى بنسبة (81،76) ومرد ذلك إلى سببين أولهما أننا ننطق بالاسم في حال الانفراد وانعزال يكون مرفوعا، وعلة رفه أن النطق بالرفع متحى عربي صوتي، وأن مصطلح الرفع جاء من الرفع العلو ومما يعنيه في المخيال العربي علو المتزلة والمكانة.

ولما كان الرفع مقترنا بمعنى العلو، جاء علما لإسناد، وقالوا: (الضم علم الإسناد، والكسر علم الإضافة، والفتح علم لما ليس بإسناد ولا إضافة)¹⁵¹ وقسم العرب منطوق هذه العلامة إلى قسمين رفع وضم، وخصصوا مصطلح الضم للمبني والرفع للمعرب، الاسم معرب في أصله. ومن هنا ترجح استعمال

الضم للأفعال وارتفاع للأسماء، وفي إعراب كل منهما يقال فيالاسم مرفوع بالضممة ويقال للفعل مبني على الضم.

ومصطلح الرفع يقابله الجر، وهنا تظهر المقابلة والمفارقة بين المصطلحين، حيث يتخذ مصطلح الرفع والضم عند النطق به مؤخر الحنك قرب اللهاة، وفيها يتقلص اللسان ويستجمع قواه، ويرتكز قرب اللهاة التي هي ملتقى التجاويف ومفترقها. في حين ينخفض ويتزل اللسان إلى أسف، عند نطق الخفض والكسر والجر.

وقد احتل الجر في جدول العلامات المرتبة الثالثة بعد الفتح، بنسبة (8،23) بالمائة، ويظهر من هذا الرقم، أن الشارح تجنب الحديث بالكسر، للعلة السابق ذكرها، فهو يرفع من قيمة المنطوق ومكانته، ويضمه إلى مستوى المرفوعات لفظا ومعنى وتصورا، وللفصل بين المكانتين جعل الفتح وسطا بينهما فكانت له الرتبة الثانية بد الضم بنسبة (11،76) وهي رتبة تقترب من الكسر ويتعد الضم القوي المعتد بنفسه عنهما، حتى لا يصاب بعدوى أحدهما. بالإضافة أو الحياد، الذي من معانيه الإبعاد.

وفي الجميع، يكون في الممر الصوتي موقعان، واحد علوي مرتفع، وآخر سفلي منخفض. وبينهما مسار التبدل والتحول الصوتي، سماه اللغويون فتحا ونصبا. ومن هذه النظرة، ذهب بعض الدارسين إلى أن في العربية صائتين وظيفين

فقط، هما: الضم والكسر؛ أما الفتح، فهو مجرد وصف للممر الصوتي عند النطق بالصائت "152"

ومن هذه النظرة، جعل العرب للضم وظيفتي الثبات، في الأفراد والإسناد في التركيب؛ وجعلوا للكسرة وظيفة التغير في الأفراد والإضافة في التركيب، ونسبوا للفتحة الحياد في جميع المستويات والتراكيب. وتبقى علامة صوتية غير واردة في الجدول وهي السكون؛ وسبب إغفالها هنا، أن الأسماء المعربة لا تقبل السكون في نهايتها، مع أن الوقوف عليها والتوقف عندها يكون بالسكون غالباً، ولأن العرب لا تنقف على متحرك. ومن هذه النظرة، سنفرد للسكون حديثاً وصفيًا وظيفيًا في الذوات.

في تعاقب العلامات

يرتكز مفهوم العلامة الإعرابية، في الدراسات العربية، حول الصوائت الثلاث، من قصيرة وطويلة، مع انعدام العلامة المسمى حذفاً، وهذه نظرة عملية، حيث يتخذ الغياب علامة على الوجود، وفي ذلك قال ابن مالك:

والحرف ليست له علامة ترك العلامة هي العلامة.

أي أن غياب العلامة، هو بذاته علامة. ويبقى حديث العلامة في العربية متجهًا صوب الحركات الثلاث. يختلف كميًا المدية والاتساعية، وقد تجاوز عددها المائة "153" بأجزائها وتضعيفاتها، وتعاقبها لبعضها.

152 - مكي درار في مداخلة الملتقى الوطني، للنحو في جامعة عبد الرحمن بن خلدون بعنوان العلامة الإعرابية. تنويع وتجديد.

153 - المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، مكي درار، ص. 109.

إن المقصود بتعاقب العلامة هنا، فهو التكرار الموضوعي؛ وذلك حين تعقب الحركة أختها، في الترتيب الموقعي، وهو المسمى (تنوين) ويسمى الاسم المنون، متمكناً؛ وغير المنون، غير متمكن؛ ويعرف بالتنكير أيضاً، ويقابله التعريف، وكل من التعريف والتنكير ينقسم إلى عدة أقسام، وأشهر تقسيمات التمكن ثلاثة: (متمكن أمكن، ويسمى المنصرف، وهو الاسم القابل لجميع الحركات مفردة ومتعاقبة، في مثل: (محمدٌ محمداً محمدٍ) بالضم والفتح والكسر، ومنه المتمكن غير الأمكن، وهو الممنوع من الصرف، الذي لا يقبل الجر والتنوين؛ وغير متمكن وغير أمكن، وهو (الجامد) ومن هذه الأقسام، تنبعث وظائف الأسماء المنونة.

وظيفة التنوين

التنوين ظاهرة إعرابية اسمية ذاتية، أي أن ما غير الاسم والمشتق منه لا ينون، والخارج عن التنوين هو الفعل والحرف، ويعرف اللغويون التنوين بأنه (نون ساكنة، تلحق آخر الاسم لفظاً، وتفارقه خطاً، للاستغناء عنها عند الشكل بالضبط بالقلم¹⁵⁴ "و من ثم، يعد التنوين من الأصوات الفرعية التي لا تتبين إلا بالمشافهة¹⁵⁵ باعتبارها نونا ساكنة.

وللتنوين وظائف تختلف باختلاف موقعه في الأداء، ومن هناك انقسم إلى عدة أقسام أيضاً، تجاوزت العشرة، وأشهرها أربعة وهي: (تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض)¹⁵⁶ "ولكل مصطلح معنى؛ وأشهرها التمكين والتنكير.

التمكين

1- التحفة السنية بشرح الأجرومية محمد محيي الدين عبد الحميد، ص، 38 مط، الإمام

مالك، 2004م

155 - سيبويه الكتاب ج، ص، 431.

156 - محمد مرسي جهادي، مقالة التنوين ص، 37.

هذا المصطلح وظفه سيبويه في الكتاب، وعلى أساسه أقام تقسيمات الأسماء، ومما جاء في كتاب سيبويه قوله: (واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنا)¹⁵⁷ وقوله (واعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع)¹⁵⁸ ومن هذه النظرة أيضا، قسم سيبويه الأسماء إلى ثلاثة أقسام. متمكن أمكن وهو المنصرف القابل لجميع الحركات، ومتمكن غير أمكن وهو الممنوع من الصرف الذي لا يقبل الجر والتنوين. وغير المتمكن وغير الأمكن وهو الجامد الملازم لحال واحدة.

ومن هذه الرؤية، نجد الدارسين يرددون النكرات أكثر من المعارف وذلك لأنها أخف من جهة ولأن بها نغما ورنينا يحدثه النوين، كما أنها أخف من المعرف لخلوها من أداة التعريف، ومن هذا جميعه علب التنكير على التعريف في فتح اللطيف فبلغ مجموع المعارف (45) صيغة في مقابل (125) صيغة منكورة خالية من أداة التعريف.

ولكن ما يلاحظ في أساسيات الأداء اللغوي العربي وتلقيده، هو جعل المؤنث ممنوعا من الصرف فلاينون ولا يجر، وإن كان من وظائف التنوين التمكين، ولم تتمكن الأنثى العربية من موقعها في الحياة الاجتماعية، فإن الجر والكسر والخفض، بكمياته وبمعناه اللغوي يناسب صورتها ومكانتها، فلماذا حرمت منه؟ والجواب غير ممكن في هذا الموضع من هذا الموضوع حاليا.

157 - سيبويه، الكتاب، ج، 1، ص، 22.

158- سيبويه، الكتاب، ج، 1، ص، 22.

ومن الملاحظ أيضا، أنه إذا كانت الأنثى لا يسمح عند ذكرها بتنوينها ولا بكسرها، وقيل إن ذلك يتمشى وحال الأنثى ووضعيتها في المجتمع العربي، فإن الظاهرة نفسها (المنع من الصرف) تنسحب على بعض الأسماء العربية المذكورة، فقد منعوا بعضها من الصرف لعلل جمعوها في تسع¹⁵⁹ ثم قسموها إلى قسمين (واحدة ترجع إلى المعنى، والأخرى ترجع إلى اللفظ، أو واحدة تقوم مقام العلتين)¹⁶⁰ وتحت هذه العلل، منعوا من الصرف ما كان على وزن عمر وإسماعيل وحمزة، وهم ذكور. ولكل ممنوع علة وتعليل غير عقلاني، وألحقوا الجميع بالمؤنث الممنوع من الصرف أصلا، إلا ما كان ثلاثيا ساكن الوسط، في مثل (هند) وفي المقابل سمحوا لبعض الأسماء الأعجمية أن تصرف إذا كانت ثلاثية ساكنة الوسط، أو كانت ثلاثية معتلة الوسط، في مثل (نوح وهود ولوط) وتعليل الجميع سماعي منقول غير معقول.

ومما منعوه من الصرف أيضا، كل ما جاء على وزن مفاعل، كمساجد، ومقاعد، ومنابر، وسلاسل؛ أو على وزن مفاعيل، كمصاييح، وتلاميذ، ومفاهيم، وقوارير. ولكن هذا المنع لا ينسحب على ماء جاء في القرآن الكريم على هذه الأوزان مصروفا منونا، كقوله تعالى: (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل)¹⁶¹ فجاءت سلاسل منونة مصروفة، كما جاء في السورة نفسها قوله

159 - نظم هذه العلل التسع حسن الأشعري المعروف بالأسعردي، في خمسة أبيات، ينظر الكافية الكبرى في علم النحو، تح، إلياس قبلان التركي، ص، 36، مط، دار صادر بيروت، ومكتبة الرشاد، استانبول، ط، 1، 2007م

160 - محمد محيي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح الأجرومية، ص، 80، مط، دار الإمام مالك، البلدة، ط، 1، 1999م

161- الآية الرابعة من سورة الإنسان

تعالى: (كانت قواريرا، قواريرا من فضة قدروها تقديرا)¹⁶² بتكرار قوارير مصروفة منونة.

والملاحظ هنا، أن القاعدة الصرفية غير مطردة، على ما يقول به الصرفيون ويشترطه اللغويون، واعتبروا ظاهرة صرف الممنوع من الصرف استثناء، مع أن الصرف أصل والمنع استثناء وفي تعليلاتهم لهذه الظاهرة، قالوا في الممنوع من الصرف: (يجوز صرفه للضرورة، أوللتناسب، نحو (سلا سلا وأغلا لا، وقواريرا قواريرا)¹⁶³ ومع هذا التعليل، يبقى الأمر غامضا لسببين: أولهما انكسار القاعدة المنظمة للممنوع من الصرف، والثاني الاستثناء عن الاستثناء، لأن الممنوع من الصرف هو استثناء للقاعدة الأصلية والخروج عنها، لأن الرجوع إلى الأصل يعتبر استثناء هنا. وآخر تساؤل، هو من المرجح للاتباع، كلام الله أم كلام البشر؟

فإذا كانت مفردتا (سلا سلا وقواريرا) جاءتا مصروفتين منونتين في القرآن الكريم، فكيف يمنعها العربي من الصرف؟ مع أن من أهم مقاصد التقعيد الحفاظ على صحة أداء القرآن في تلاوته، وأن يعد المرجع الأصلي والأساسي لكل أداء، وأن ترد لغات العرب على أهلها وتطبق أساليب القرآن وآدائه

في التعليل الصوتي

بعد هذا نعود إلى الوقوف عند ظاهرة الممنوع من الصرف وننظر إليها من وجهة نظر صوتية منطلقين مما قاله اللغويون فيها ومما قدمناه من قبل وهو يجوز صرف الممنوع من الصرف (للضرورة أوللتناسب)¹⁶⁴ ومثلوا لذلك بقوله

162 - الأيتان الرابعة والخامسة من سورة الإنسان

163 - نفساهما.

164 - خليل الأسعدي الكافية الكبرى في علم النحو، ص، 37.

تعالى: سلا سلا وأغلا لا وقالوا (صرف الأول) _____ سلا سلا

_____ لمناسبة الثاني

أغلا لا _____) "165" وهنا يكمن الجواب العلمي العملي ذو المرجعية الصوتية.

في التناسب

تردد في آثار الدارسين مفاهيم ومصطلحات سموها (نحوية وبلاغية) وألحقوها بعلم البديع، (والبديع قسمان: قسم يحسن المعنى، وقسم يحسن اللفظ، ومنه الجناس بأنواعه والسجع والتصريع والتشطير، والموازنة، والمماثلة، والقلب، والتشريع، وقد وصلت أنواع البديع في عصر الانحدار إلى أكثر من مائة نوع) "166" وهي في أصلها صوتية.

البديع علم يسعى إلى (تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي) "167" وهنا يظهر الطابع العملي لمفهوم البديع ومجالاته، وقد حصرها بعض المحدثين في خمسة أنواع جمعها تحت مفهوم التكرار قال فيها: (التكرار الذي يدخل تحت باب البديع، ويشمل خمسة أساليب هي: المذهب لكلامي، والتذييل، والعكس والتبديل، والترديد، والتعطف) "168" ويتضح من جميع ما سبق أن الحديث يدور حول وظائف صوتية غير مصرح بها، وأن ما يسمى في قواعد الأداء والأساليب بالتناسب، والتآلف، والمقابلة، والتكرار،

165 - نفسه.

166 - محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي، معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص 245 و 246 باختصار، مط، دار العودة بيروت، لبنان، ط 1، 1982م

167 - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 263 باختصار.

168 - محمد الواسطي، ظاهرة البديع، عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، ص 237، مط، دار نشر المعرفة، الرباط المغرب الأقصى. ط 1، 2003م

والرجيع، والترديد، والتجنيس، والإبدال والإعلال والقلب والإدغام جميعها ظواهر صوتية تخضع لقواعد وقوانين صوتية واضحة محددة صارمة طبقها علماء القراءات وتعامل عتها غيرهم، فتداخلت مفاهيمهم وارتبكت أحكامهم.

العلة والتعليل

يردد الكثير مقولة ابن جني (اللغة أصوات) ولكنهم يرددونها من أجل الحفظ والاحتفاظ بها دون توظيفها فإذا كانت اللغة أصواتا فينبغي أن تخضع جميع قواعدها وضوابطها للمرجعيات الصوتية، وتطبق قواعد التصويت وضوابطه على مظاهر اللغة وظواهرها؛ ومن هنا، يمكن تحليل ظاهري التصريف منعا وجوازا. في ظل قواعد التصويت من جهة وفي علاقة قواعد التصويت بقواعد التصريف من جهة ثانية.

واللافت للنظر، أن الدارسين اللغويين يتحدثون بالصوت ولا يراعون ضوابطه، ففي قولهم: (يجوز صرف ما لا ينصر للتناسب) فهم يعنون بالتناسب حسن العلاقات التجاوزية في المباني الإفرادية والتركيبية معا، وينحصر رف ما لا ينصرف في قاعدة تسمى (المحاذاة) وهي مراعاة العلاقات الصوتية من موقعيات (مخرج) وكميات (صفات) ببعضها عند تجاوزها، وفي ما سبق من آيات لو طبقنا قواعد اتصريف وقرأنا الآية هكذا (أنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً) لوقع تنافر صوتي بين المفردتين المتجاورتين نظرا لتفاوت قمم الزوايا الصوتية بينهما، ولوجب على القارئ أن يتزل عند لام سلاسل ويرتفع عند لام أغلالاً، وهنا يحدث ما يعرف عند البلاغيين بالتنافر الصوتي.

وإشارة صاحب النص السابق في هامش الصفحة إلى أن التناسب هو (صرف غير المنصرف ليحصل التناسب وأن رعاية التناسب بين الكلمات أمر

مهم"¹⁶⁹ فهذا التصريح بتصريف غير المنصرف مرآة لتحقيق التناسب الصوتي هو كل ما ينبغي أن راعيه اللغويون بعامة والصرفيون بخاصة لأنه ظاهرة إفرادية داخلية، أكثر منها سياقية خارجية.

في تراجع التععيد

يظهر مما تقدم أن بعض قواعد اللغة العربية وضوابطها غير مستقرة على حال من ذلك الممنوع من الصرف، وهو الذي يظهر عليه أنه شتات من المنطوقات العربية المختلفة، فقد يكون لقبائل انقرضت لهجتها أو انصهرت في غيرها، فانتقل النوع من الصرف إلى غيرها ولم يتمكن من الحفاظ على أصله كما لم يتمكن من الاندماج في لهجة أخرى¹⁷⁰ ومن ثم انتقل إلى لهجات أخرى منها لهجة قریش.

ولما كان القرآن الكريم بلغة قریش أصلاً وبلغات لقبائل عربية غيرها جاءت في القرآن كان الممنوع من الصرف ضمنها فجاءت مفردات منصرفة مرة، وغير منصرفة مرة من ذلك لفظة (ثمود) التي جاءت غير مصروفة في مواضع كقوله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)¹⁷¹ وقوله تعالى: (وعاد وثمود)¹⁷² وقوله تعالى: (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود)¹⁷³ حيث جاءت في الجميع غير

169 - خليل الإسعدي، الكافية الكبرى في علم النحو، ص، 37، هامش رقم 9 باختصار وتصرف.

170 - هذه الفكرة، مستقاة من محاضرة للأستاذ مكي درار على طلبة ما جستير صوتيات.

171 - سورة الأعراف، الآية، 73.

172 - سورة التوبة الآية. 70.

173 - سورة هود الآية، 95.

مصروفة، أما في قوله تعالى: (كأن لم يغنوا فيها إلا أن ثمودا كفروا برهم) "174" وقوله تعالى: (وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم) "175" جاءت كل المنصوبات مصروفة والمرفوعات والمجرورات غير مصروفة.

والظاهر مما تقدم، أن قواعد الممنوع من الصرف في حاجة إعادة النظر وليكن ذلك في ظل قواعد التصويت وقوانينه، خاصة وقد تبين مما تقدم هنا، وفي حديث التفخيم في الفصل السابق لهذا، أن لقواعد التصويت وقوانينه، القدرة الكافية على تحليل الظواهر النطقية وتعليلها، وإيجاد البديل العلمي العملي التطبيقي لها.

في الكمية والطاقة

يقودنا حديث التمكين والتنكير إلى التفكير في كثافة الكميات الصوتية وطاقتها، وقد عبر عنه الدارسون القدامي والمحدثون بمصطلحات الخفة والثقل في كميات الاتساع ومصطلحات المدود في كميات الامتداد، أو ما مكن أن يعبر عنه بالكثافة والزمن.

الفصل الثالث

الأوصاف

تصدير

سيكون هذا الفصل من البحث للصيغة الوصفية، باعتبارها تجمع بين الاسم والفعل، الذين اخترقهما كموضوع للفصلين السابقين، على أن الجمع بينهما سيتم في هذا الفصل. ونقصد بالوصف ما هو حامل لمعنى في غيره.

جاء في المعجم العربي ما خلاصته وصف الشيء (له و عليه وصفا وصفة حاله. وقيل الوصف المصدر والصفة الحلية. الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته. والصفة كالعلم والسواد و الصفة هي النعت)¹⁷⁶ "أما الوصف عند النحاة و علماء التصريف فهو (ما دل على صفة شيء من الأعيان أو المعاني. وهو موضوع ليحمل على ما يوصف به)"¹⁷⁷ من الأوصاف.

ومن هذا التصور فهو أقسام؛ فمن حيث المادة هو قسمان: إفرادي وتركيبي، ومن حيث المفهوم الدلالي فهو قسمان أيضا، وصف ونعت، وفي هذا قال ابن فارس: (وذكر عن الخليل أن النعت لا يكون إلا في محمود، وأن الوصف قد يكون فيه وفي غيره)¹⁷⁸ "إي يكون في المحمود والمذموم، من الملحقات الإفرادية أو التركيبية المسماة مفردة وجملا. ويمكن حصر في مفهوم النعت في مفهوم الإتيان لأنه ينتمي إلى التوابع الأربعة التي قال فيها ابن مالك:

¹⁷⁶ - ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص936، ع1.

¹⁷⁷ - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص98.

¹⁷⁸ - أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها، تح، مصطفى الشوملي، ص، 88. مط، بدران للطباعة والنشر لبنان، ط1، 1963م

يتبع في الإعراب الأسماء الأول xxx نعت وتوكيد وعطف وبدل¹⁷⁹

"

وقد جاء النعت في الصدارة لشيوعه وغلبته على ما سواه من الملحقات في التعبير عن المعاني والأفكار، ولكن هناك فرق بين التوابع والإتباع، فالتوابع هي التي تقدم ذكرها أما الإتباع فهو منها في المفهوم الوظيفي وهو غيرها من حيث مراعاة التقعيد وفي ذلك قالوا: (الإتباع هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أورويا إشباعا وتأكيذا... وذلك قولهم ساغب لاغب، وهو خب صب، وخراب يباب،)¹⁸⁰

وهنا تظهر أول الفوارق بين الإتباع والتوابع إذ أن الإتباع، إذ أن الثاني ظاهرة صوتية يؤتى بها لتأكيد المعنى وتثبيته مما هو واضح ففي النص السابق في قول صاحبه (إشباعا وتأكيذا) إذ أن الإتباع زيادات في الكميات الصوتية من أجل إشباعها من أجل التأكيد.

وهنا يقترب مفهوم الإتباع من مفهوم التوابع في بعض الجوانب، منها: أن في كل منهما تأكيدا للشكل أو المعنى أو هما معا، وأنهما معا يأتيان بعد الذي يراد وصفه، إلا أن النعت يكون مفردا ومركبا، والإتباع لا يكون إلا مفردا في الغالب.

¹⁷⁹ - عبد الحميد رشواني، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، ص، 92، دمشق،

ط، 1، 1996م

¹⁸⁰ - أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص، 270

باختصار

ومما جاء على ألسنة النحويين في النعت، أنه هو(المشتق أو المؤول بالمشتق الموضح لمتبوعه في المعارف المخصص له في النكرات)¹⁸¹ وهذا جانب من جوانب الاختلاف في التوظيف والاستعمال حيث كان النعت قسمين واحد يوضح المعاني وآخر يخصصها، وفي مجال التركيب قال النحاة: الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال.

و لما كان خلاصة الوصف _____ في جميع ما سبق _____ حاملا لمعنى في غيره، موضحا له أو مخصصا، كان الزموري قد اهتم بالأوصاف بقدر اهتمامه بالحدثيات والذوات. ولهذا كانت المدونة تحتوي على اثنين و مائة (102) صيغة وصفية، موزعة على مجموع الكائنات، حصرناها عدديا في الجدول الآتي:

جدول الموصوفات

الجنس			العدد			النوع					المدركا ت		الإعراب			التمك ين	
الأعداد	مؤنث	مذكر	مفرد	مثنى	كامل	انسان	الحيوان	نبات	الحاد	ثابت	حقيقة	تضمني	رفع	نفس	هـ	مؤنث	مذكر
م	3	7	9	0	8	5	7	2	5	3	3	6	7	2	4	7	9
	1	1	4	0		3				5	6	6	6	2		5	
ن	2	1	1		2	1	3	5	4	2	2	1	1	2	3	2	1

مع مكونات الجدول

يتكون هذا الجدول من ستة خانات. متضمنة ثمانية عشر (18) واديا تخصص الوادي الأول للأعداد والنسب والرتب ثم جاءت الخانات فكانت الأولى للجنس وتحتها واديان واحد للمؤنث، ومجموعه واحد وثلاثون صيغة، والثاني للمذكر، ومجموعه واحد وسبعون صيغة (71)

ومن بعد هذا جاءت الخانة الثانية للعدد، وكان للمفرد فيها الرتبة الأولى بأربع وتسعين صيغة (94) متبوعا بالمجمع بمجموع ثمان صيغ فقط (08) وخلا وادي المثنى من أي عدد.

ومن بعد الخانة الثانية جاءت الثالثة، متفرعة إلى خمس وديان؛ أولها للإنسان، وكانت له الرتبة الأولى بمجموع ثلاث وخمسون صيغة (53) متبوعا بالشيء العام، بمجموع خمس وثلاثون صيغة (35) ثم جاء وادي الحيوان، بسبع صيغ (07) متبوعا بوادي الجماد بخمس صيغ (05) وبقي للنبات صيغتان (02)

والملاحظ هنا شيئان: أولهما، أن الأصل الذي عليه المرتكز هو وادي الذوات، أما ما سواه، فهو متعلق به وصفات له، ولهذا سنعطي لخانة النوع الاهتمام الأكبر في التعامل معها. وفي هذه الخانة، خمسة وديان؛ وأعلى قيمة عددية في هذه الخانة هي وادي الإنسان، المتبوع بخانة الأشياء؛ وقد اشتملت على خمس وثلاثين صيغة.

وثاني الملاحظات، أن الحديث الآتي لايهتم بالذوات لأن حديثها تقدم، وإنما تهتم بماتصفت به هذه الكائنات كلها، وما نوعية الأوصاف التي ألصقت

بها، مع مراعاة معطياتها وخلفياتها ومرجعياتها ثم غايات الإتيان بها هكذا نوعا ورتبة.

وتبقى بعد الذي سبق، ثلاث خانات ستعطى حقها أيضا، ومنها الخانة الرابعة المختصة بالمدرجات الحقيقية والتصورية، وقد كان لوادي التصور الرتبة الأولى بست وستين صيغة (66) وجاء وادي الحقائق في الرتبة الثانية، بست وثلاثين صيغة (36) ومن بعد خانة المدرجات، جاءت خانة العلامة الإعرابية.

العلامة الإعرابية

لقد خصصنا لخانة العلامة الإعرابية¹⁸² "ثلاثة وديان، مراعاة لعدد الصوائت العربية القصيرة، فكان للمرفوعات الرتبة الأولى، بست وسبعين صيغة (76) متبوعا بوادي المنصوبات باثنتين وعشرين صيغة، واحتلت المجزورات الرتبة الثالثة بأربع صيغ، (04) وبقيت آخر خانة للتمكن وغيره.

كما أن آخر خانة في هذا الجدول، اختصت بالتمكن وغير المتمكن، ممي يسمى بعموم المعرفة والنكرة، وتصدر التنكير المكانة الأولى بخمس وتسعين صيغة، وبقيت للمعرف المتمكن المرتبة الثانية الأخيرة بسبع صيغ (07) وبهذا ينتهي الحديث الوصفي لمجموع محتويات خانات الجدول ووديانه.

وسنقف هنا، عند الجدولين السابقين: جدول الحداثيات وجدول الذاتيات بشيء من التذكر والمقارنة، وإذا كان لنا ذلك، فإن أول الملاحظات ننسجلها

¹⁸² - نقول العلامة الإعرابية، ونريد بها الصوتية وإلا فإن مفهوم العلامة يطلق على الصوائت بكميبتها وعلى غير الصوائت مما سيتضح عند الحديث عنها.

هي: أن عدد الصيغ الذاتية تتصدر في عددها بقية الجدولين، ونجمل ذلك في جدول توضيحي هو الآتي:

جدول المباني الإفرادية

المباني	الصيغ الذاتية	الصيغ الحديثة	الصيغ الوصفية	المجموع
العدد	170	80	102	352
النسبة	48،29	22،72	28،97	99،98
الرتبة	1	3	2	

مع محتويات الجدول

لقد اشتمل هذا الجدول على مجموع المباني الإفرادية التي جاءت في فتح اللطيف مستقاة من البسط والتعريف ومضاف إليها ما استحق الشرح والتوضيح ومجموعها هنا (352) صيغة، وإذا كان النقاش ما زال قائما بين أصل المفردات أم هو الفعل أم المصدر فإن المباني الوصفية تميل على المشتقات في منهج التصريف.

ومن هنا، كان السؤال عن الغالب المرجح في الشيوع، أم هو القريب من الحدث أم القريب من الذات، وكان السؤال من جهة أخرى من السابق، الحدث أم الذات، أي الفعل أم فاعله؟ والجواب الفاصل الدقيق متعذر هنا، وذلك بالنظر إلى أن لكل فعل فاعله من جهة، كما أن كل فاعل هو نتيجة فعل من الأفعال من جهة أخرى.

وإذا احتلت المباني الذاتية صدارة العدد والترتيب، فإن الفكر العربي التعليمي يقدم الاسم عن الفعل، وذلك لخفته؛ وفي ذلك قال سيبويه: (واعلم أن

بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هي الأول، وهي أشد تمكنا، فمن ثم لم يلحقها تنوين، ولحقها الجزم والسكون، وإنما هي من الأسماء؛ ألا ترى أن الفعل لا بد له من اسم وإلا لم يكن كلاما، والاسم قد يستغنى عن الفعل¹⁸³ وهنا يراد به المبتدأ.

في هذا لنص يعرض سبويه عدة قضايا غفل عنها المحدثون، وأولها أن مبدأ التحليل والتعليل عند سبويه كان صوتيا، فالخفة والثقل مرجعها مكونات المباني وأنواعها، والنوع غالب على الكم. والملاحظة الثانية أن سبويه _____ هنا _____ يوظف مصطلح الأول، فهو يؤصل ويفرع دائما، وهنا يكون الاسم أصلا للفعل في رأيه، ومن هنا أيضا، حق له أن يتقدم وأن يتعدد وأن تكون له الصدارة. وهذه النظرة يختلف فيها الدارسون، وقد أو ردنا بيتا شعريا للأخضر السائحي _____ في ما سبق _____ يفضل فيها الفعل عن الاسم.

وإذا تصدرت الصيغة الذاتية مراتب التعداد، فقد جاء من بعدها في الرتبة الثانية الصيغة الوصفية، وهي والحديثة قريبتان من بعضهما، إلا أن الصيغة الوصفية تجمع بين الحدث والذات، وكان لها أن تحتل صدارة التمثيل في العملية التعليمية، لأنها تجمع في شكلها ومحتواها إيجاءات بالفعل وفاعله، ففي قولنا (كاتب) مفردة تحمل معنى الكتابة التي هي حدث، وتحمل معنى الذي قام بالكتابة، وهي الذات.

ولكن، لما كانت الصيغة الحديثة أثقل من الذاتية، غلب توظيفها وشاع؛ ويبقى التنافس بين الذاتية والوصفية، ولما كانت الوصفية تحمل معنى الحدث والذات، كانت أثقل من الذاتية، فتخلفت عنها في التوظيف، والثقل نوعان: واحد في المحتوى، وآخر في الشكل؛ والأخير صوتي.

الجدول النوعي للمباني الذاتية

الكائنات	إنسان	حيوان	نبات	جماد	شيء	المجموع
العدد	53	07	02	05	35	102
النسب	51,96	6,86	1,96	4,90	34,31	99,99
الرتب	1	3	5	4	2	

مع مكونات الجدول

الأعمال كلها تقاس بمقياسين غالباً، هما: النوع والكم، ويرجح النوع على الكم إذا لم يتساويا، والنوع هنا قياسه قديم¹⁸⁴ قائم على تنويع الكائنات، وهو خمسة أنواع؛ إنسان وحيوان ونبات وجماد وشيء؛ وتصدر الإنسان خانات النوع بثلاث وخمسين صيغة وصفية، وبالرتبة الأولى في خانة النوع، والملاحظ هنا أن مجموع عدد الذوات في موضعها هي (170) صيغة، المتصف منها _____ عددياً _____ ثلاث وخمسون تكون نسبة الأوصاف إلى الذوات. (31،13) أي الثلث.

¹⁸⁴ - ذهب مكي درار، إلى تقسيم آخر، أساسه صورة الكائن، ومنه قسم الشيء إلى تقسيمات فرعية. ينظر تفصيل القول فيها: هندسة المستويات اللسانية، ص، 58، مط، عالم الكتب الحديث، للطبع والنشر، عمان الأردن، ط، 1، 2012م

ومن هنا نعود على مراعاة الكميات الصوتية في المواد التعليمية، وعلة ذلك أن الأوصاف تحمل معنى الحدث والذات والاسم مجرد من الحدث كان أخف منها، ولذلك شاع استعماله وفاق غيره في الذكر عند التمثيل في العملية التعليمية، وكتاب فتح اللطيف مصنوع للتعليم. وينبغي أن تراعى معطياته ومنطلقاته، ومنها الإكثار من الأمثلة والتمثيل، من أجل التوضيح والتركيز، والاحتفاظ بالمعلومة صحيحة واضحة قابلة للاستعمال.

ولتحقيق الغاية من العملية التعليمية، في كتاب فتح الطيف، نجد الشيخ الزموري يكثر التمثيل بالذوات وينوعها، ويراعي أهميتها وتوظيفها فيكثر من الحديث عن الإنسان ويرجحه عن غيره ويجعل حديث الأشياء في الرتبة الثانية.

وإذا عدنا إلى ما جاء مسجلا في الجدول نجد فيه (102) صيغة وصفية ذاتية، وهو ما أحصيناها من الكتاب، وقسمناها إلى مجالاتها الوظيفية، أمكن تقسيمها إلى مجموعتين: مجموعة من الذوات تعد مشهورة معروفة واضحة وأخرى شبه غريبة مجهولة في مجال الاستعمال. وإذا كان المقصد من نظم البسط هو تعليم القواعد الصرفية وإذا كان المبتغى من شرحه هو تثبيت هذه القواعد وتسهيلها بقول الناظم:

سلكت فيه مسلكا مهذبا.... بسطا وتعريفا فجاء معجبا
فجاء تأليفا صغير الحجم..... لكنه سهل كثير العلم¹⁸⁵

وقد أظهر الشارح غير مرة، أنه يبتغي السهولة واليسر وكمية الفائدة، لكنه في ما يبدو علب عليه احترامه لمحتوى المتن واعتماده على أصول المراجع عند التمثيل فجاءت كثير من المفردات شبه غريبة عن زمان المؤلف وزماننا، وبخاصة الصفات المستشهد بها في الشرح المستقاة من مفهوم المتن.

وإذا كانت الصفة تأتي بعد الموصوف في الرتبة على ما تقدم ذكره، فإن الشيخ كانيأتي بالصفة منعزلة عن الموصوف، كما كان يجمع عدة صفات متتاليت منعزلات عن موصوفاتها كقوله. (قدعمل الضخم. وجحمرش العظيمة من الأفاعي)¹⁸⁶ وقد جاء بالمفردتين صفتين غير مركبتين، مع أن الصفة لتأتي إلا مع الموصوف غالبا وهي مشتقة، وقد تأتي مؤولة بالمشتق كقولهم جاء الذئب إشارة إلى الرجل الماكر المخادع ولذلك قالوا في تعريف النعت: (هو المشتق أو المؤول بالمشتق)¹⁸⁷ ولايعد هذا معيبا بمفهومه بقدر ما يعد غريبا في استعماله، والغريب في الاستعمال والتوظيف يتنافى ومقصد التعليم بعاملته.

وإذا اعتمدنا هذه الصورة وتتبعناها فقد أمكن لنا تقسيم المفردات الوصفية _____ بحسب التوظيف والاستعمال _____ إلى قسمين كبيرين، قسم المستعملات وقسم المهملات، ورجحنا لهذا القسم الثاني، عبارة (غريب) حتى لايعد من المهملات المعجمية غير الوارد لها مثال في الاستعمال. وقد قسم المعجميون القدماء يتقدمهم الخليل بن أحمد الفراهيدي

186 - نفسه، ص، 64.

187 - محمد محيي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح الأجرومية، ص، 173..

المفاتيح المعجمية إلى قسمين رئيسين: مستعمل ومهمل¹⁸⁸ والمهمل عندهم (هي الألفاظ غير الدالة على معنى بالوضع)¹⁸⁹ أي المتفق عليها جماعيا؟

وعندما صنفنا المفردات الوصفية بحسب انتمائها وموصوفاتها ومجموعها (102) على ما رسمناه في موضعه، من الجدول المختص بها، تبين أن عدد الغريب يفوق عدد المشهور. بلغة الحساب والنسب والرتب كان عدد الغريب، (74) صيغة، في مقابل (28) صيغة للمشهور. وكانت نسبة الغريب (54، 72) في مقابل (45، 27) للمشهور. ومن ثمة كان للغريب التبة الأولى في الشيوخ والظهور من حيث التمثيل مع أنه في يأتي بعد المشهور في الاستعمال.

هذا من جانب الاستعمال والإهمال، أو الشهرة والغربة، على ما اخترناه له من تسمية. ومن المفردات الواصفة التي ظهر أنها مشهورة معلومة: (الحسن، والإحسان، والأحول، والرسول، والقيوم، وسعيد، وآمن، وقصوى، وطوبى، وتقوى...) وغيرها متدة على امتداد صفحات الكتاب¹⁹⁰ "ومن المفردات الواصفة التي ظهرت أنها غريبة هي: (قدناؤ، وجمحرش، وصيهم، وعدبوط، ومشيوخاء، وكندأو، وخنقيق، وكوال...) "¹⁹¹

وليست هذه النظرة إليه والوقفه عنده، بكافية حتى ينظر إليه من وجهة نظر صوتية وظيفية، وهنا سنقترب من مجال التركيب المسمى عند اللغويين نحواً،

188 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ج، 1، تح، ص، 110، وما بعدها، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط، 1، 1967م

189 - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص، 259.

190 - يراجع فتح اللطيف. على سبيل المثال: صفحات: 130، 266، 268، 281، 342، 356.

191 - نفسه، صفحات: 134، 64، 145، 284، 269، 241.

ذلك لأن الصفة تابعة للموصوف ومن هناك يكون الحديث عن المفردة داخل التركيب، وتجنبنا لهذا الخلط نسعى إلى ترجيح جانب الأفراد اللغوي، على جانب التركيب التقعيدي. ونستعمل مفردة إتباع موضع تابع.

وقد تعرضنا إلى مفهوم الإتياع من قبل، وتبين أنه مفردات منفردة بنفسها، مستقلة تشكيلتها تلحق بغيرها إلحاق تأكيد، وتثبت صوتي تصويتي، وليس إلحاق معنى أودلالة. وذلك في مثل قولهم: (حسن بسن وشيطان ليطن)¹⁹² ويظهر فيه غلبة التوازن والتكافؤ الصوتي على التصور الدلالي. ومن هنا، تكون صوتيات الإتياع، أحق بالدراسة الصوتية من التوابع؛ ولكن ظاهرة التوابع غلبت على الإتياع عن شارح البسط والتعريف.

وإذا تتبعنا علاقات المفردات الوصفية بموصوفاتها فقد لاتعثر على الكثير منها فقد جاءت ثلاث مفردات واصفة في ما ذكرناه من قبل غير مقترنة بموصوفاتها¹⁹³ وعلة ذلك أن الشارح التزم بما في المتن ولم يأت لمفردات المتن بمرادف تقريبي لمعانيها، وفي بعض الحلات أحال القارئ على معاجم عربية قديماً أصيلة لكن يبدو على مفرداتها الغابة والبعد عن مجال الاستعمال والتخاطب اليومي.

وإذا افترضنا أمثلة الشارح موصوفات _____ وقد أشار لبعضها _____ وأضفناها لموصوفاتها وحللناها صوتياً ظهر البعد بينهما وعدم الانسجام في تركيبة كل منهما ومن تلك المفردات ما تقدم ذكره (قدعمل علبط) فقد قال الناظم:

¹⁹² - أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص، 170.

¹⁹³ - المفردات هي: علبط، وقدعمل، وجمعرش، ص، 63 و44.

ومن يزد عَلاِبَطَا فَعَالِطُ xxx في زيده إذ أَصَلُ
علاِبَطُ ط

وفي الخماسي أتى سَفَرَجَلُ xxx ومَمْعَ قِرْطَعِبٍ أَتَى
قُذْعُ مِلْ

وزد لها جَحْمَرَشًا ولا مزيدُ xxx على الذي ذكرت إلا في المزيد¹⁹⁴

وفي الشرح قال: (والعلاِبَطُ الضخم) ونسأله هنا عمن يتصف بهذا الوصف، هل نقول: رجل علاِبَطُ، أم بنيان علاِبَطُ، أم نهر علاِبَطُ، ثم نحاول إقامة العلاقة الصوتية بين الموصوف والصفة بما يحتوي عليه كل منهما من وحدات صوتية قاعدية مؤهلة، وفي المقابل الصوتي المقطعي للمقترحات فستكون هكذا: (رجل = صع، صع، صعصص.) ثلاثة مقاطع، اثنان قصيران مفتوعان، والثالث طويل مزدوج الانغلاق. ومفردة (بنيان) مقاطعها هي: صعص، صعص، صنص ثلاثة مقاطع متوسطة، مختلفة في النوع. و(نهر) مقاطعه هي: صعص، صعص، صنص مقطعان متوسطان منغلقتان.

أما صفة (علاِبَطُ) فمقاطعها هي: صع، صعص، صع، صع. أربعة مقاطع جميعها مفتوحة متقاربة متكافئة في التشكيل، وميزنها الصرفي (مفاعل) في مثل مشارك ومنازل وعالم ومساجد، وهي مشهورة شائعة في المنثور والمنظوم، من حيث الوزن لكن عناصرها الرميية باتت غير مستعملة في حياتنا اليومية.

ومن هذه النظرة لا ينبغي للمعلم أن يقدم للمتعليم مفردات غير شائعة لا رائجة في الحياة اليومية على أنها خفيفة في الميزان غير شائعة على اللسان. وإنما ينبغي مراعاة التطابق والتلاؤم بين مكونات الصيغة ومعناها ومجال استعمالها وهي ثلاث نظرات أساسية في المادة التعليمية.

أما إن وقع النظر على جانب واحد، أو جانبين مما قدمناه، فسيتهي مسار التعليم إلى حشو الدماغ بمفردات لائقة بالحشو والتخزين، دون الاستعمال والتوظيف؛ وسيكون المتعلم بهذه التقنية، كثير مواد التخزين، مفتقرا إلى مواد التوظيف. ومن بعد خانة النوع تأتي خانة المدركات.

المدركات

المدرك هو كل ما تحدده الحواس، ومن هنا سيكون خمسة أنواع، ولكن الغالب المستعمل في الدراسة اللغوية نوعان: سمعي وبصري، منطوق ومرسوم، والأول في المجال الصوتي أسبق، والثاني أعم، لأن المنطوق يتحول إلى مرسوم، ثم يتحول المرسوم على منطوق بالرجوع إلى أصله.

ومن هنا، يمكن القول كل مرسوم منطوق، وليس كل منطوق مرسوم. والذي ارتضيناه في التقسيم هنا، هو الحقيقي والتصوري، وما مدى توظيف الصوت في كل منهما، ولكن عند التطبيق سيتوز كل منهما على المجالات السابقة للذوات وكان في مثل (تقوى، طوبى، قصوى، غبي، احتشام، علو، حسن)،¹⁹⁵ وجميعها مفردات واصفة مدركة عقلا وتصورا وتخيلات؛ ومجال توظيفها واسع، والتفاوت في وضعها في مواضعها عند النطق والأداء، هو ميدان التفاوت والتنافس. ومن بعد هذا تأتي خانة العلامة الإعرابية.

الإعراب

الإعراب في مفهومه العام هو لفظ توضيحي إيضاحي، وفي مجال التوظيف والاستعمال هو حال أواخر المفردات عند البناء والتركيب، وفي الإعراب قال النحويون: (هو تغيير أواخر الكلمة بحسب العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً)¹⁹⁶ وفي قوقوله تغيير أواخر لكلمة يكون الحديث في مجال الأفراد وهو موضوع الصرف، وفي قوله لفظاً أو تقديراً، ينصرف الحديث إلى مجال التركيب.

كما أن في قوله تغيير الأواخر يميل الحديث عن مسار المفردة الصرفية، لأن الصرف له مجالان أساسيان: أولهما المادة، وهو ما يعرف بالزيادة والتجريد. وثانيهما الوزن، وهو ما ينصب على حركة وسط الصيغة المسماة عين الفعل. وبحركة العين التي هي مجرد صوت، مع حروف الزيادة التي هي كميات صوتية، يتحدد مفهوم الصيغة ومعناها.

ومما نتوصل إليه مما تقدم أن الإعراب، هو توضيح وتبيان¹⁹⁷ "محتوى المباني على اختلاف تشكيلاتها، ومن ثمة لا ينحصر على الحركات العربية الثلاث (فتح وكسر وضم)"¹⁹⁸ وإنما ينصرف إلى كل رمز سمعي أو بصري يعمل في

196 - ابن آحروم متن الأجرومية ص، 18.

197 - محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي، معجم الشامل، في علوم اللغة العربية

ومصطلحاتها، ص، 39، مط، دار العودة بيروت لبنان ط1، 1981م

198 - علامات الإعراب، ليست هي الحركات المعهودة (فتح وكسر وضم) فقط، وإنما هي كل علامة سمعية أو مرئية أو متخيلة تعمل في تغيير البناء والتركيب، ومن تلك التالعات، السكون والحذف. وعلامات الرقيم.

مجال تحديد المعنى وتوضيحه، من حرركات وحروف ومختلف العلامات" ¹⁹⁹ الإيجابية والسلبية كالتقدير والحذف.

وقد وظف الزموري العلامة الصوتية" ²⁰⁰ "توظيفاً لائقاً في حديثه عن المباني الإفرادية كقوله: (حركة العين، وقوله: بحركة الفاء)" ²⁰¹ "وقوله: (بسكون الميم وقوله (وقيل بسكونها)" ²⁰² "وقوله (المحذوف الفاء واللام)" ²⁰³ "وقوله: (نقلت حركة الواو، وقوله نقلت الواو الساكنة)" ²⁰⁴ "وقوله: (نقلت فتحة الواو، وقوله: (بفتح الدال)" ²⁰⁵ "وقوله، نقلت الواو الساكنة، وقوله: بفتح العين)" ²⁰⁶ " وكثير غير هذا.

وما ينبغي ملاحظه مما تقدم من أمثلة أن الشيخ الزموري في ما يزيد عن أربع صفحات وظف ما يزيد عن عشرة مرات مصطلحات صوتية لتوضيح وظائف صرفية، وهذا جزء من كل لأن المقصود هو توضيح التوجهات وليس إحصاء الحالات، وإلا لما كفانا أضعاف ما جاء به من صفحات.

199 - مما يعمل على توضيح المعنى علامات الترقيم، وقد ألحقها مكي درار بعلامات

الإعراب في مداخلة له في الملتقى الوطني بتيهت (النحو واقع وآفاق)

200 - فرق مكي درار، بين العلامة الإعرابية والصوتية، في كتابه: هندسة المستويات

اللسانية، ص، 73 مط عالم الكتب الحديث، عمان الأردن ط، 1، 2012م

201 - فتح اللطيف، ص، 51

202 - نفسه، 51

203 - فتح اللطيف، 52

204 - نفسه، 54

205 - نفسه، ص، 55

206 - نفسه، 55

واقصر الحديث عن الأمثلة المجزأة دون عرض تركيباتها ففي المثال المتقدم (بفتح الدال)²⁰⁷ جاء في تركيبته قوله: (يد، أصله يدي، قيل بفتح الدال وقيل بسكونها)²⁰⁸ أي الدال. وإذا تتبعنا أبعاد ما أراده يقودنا الحديث هنا إلى أن في أصل (يد) قولان. واحد بفتح الدال وآخر بسكونها، فتصير يدي، وهنا يادخل التوظيف الصوتي من جديد في ترجيح إحدى اليغتين عن الأخرى.

وفيه يقال: وقعت الدال بين صوتين متماثلين هما الياء قبل الدال وبعده، والدال من الأصوات الانزلاقية²⁰⁹ التي يتشكل فيها الصائت قبل الصامت، ومراعاة للتخفيف يجوز تسكين وسط الصيغة الذاتية الثلاثية العناصر في مثل (كبد) بكسر الباء فيقال فيه: (كبد)²¹⁰ ويقاس عليه (عضد وفخذ) وهذا في كل صيغة ثلاثية متحركة الوسط، فتسكن تخفيفا واقتصادا وانسجاما. وهذه المساعي تعد أساسيات الدراسات اللسانية (تخفيف واقتصاد وانسجام) ولعل أول المفاهيم السابقة تعرضت له الدراسات اللغوية العربية هو مفهوم الخفة، فقد كان مطلب الخفة من عوامل الحذف والإدغام والإبدال والقلب في المباني الإفرادية والتركيبة معا.

وكان للصرف والصرفيين دور فاعل فعال في تحقيق هذه الظواهر، وكانت هذه المفاهيم أبوابا واسعة في البحوث الصرفية، ولكن ما يمكن الوقوف عنده هنا

207 - نفسه، 51.

208 - نفسه، 51.

209 - محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص، 176.

210 - رضي الدين الأسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج، 1، 74، تح، محمد نور الحسين، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مط، دار لكتب العلمية بيروت لبنان، ط، 1، 1975م.

فوق ما سبق هو ما يسمى المسكوت عنه، وهو الزيادات والإضافات، وهو ما يوجد في كل بناء إفرادي أو تركيبى وفي المباني الإفرادية عناصر صوتية تسمى حروف الزيادة، وهنا يحدث ما يشسبه التناقض مما تقدم من أن من دواعي الخفة والاقتصاد الحذف.

يوجد في آثار الدارسين العرب مفهومان صرفيان متناقضان هما (التقارب والتباعد) وفي توضيح هذا الاتجاه قال المختصون (إن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من الصر، ولاشك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة... وإذا كان هذا موجودا على هذه الصفة كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة في العلة في حسن النقوش إذ امتزجت من الألوان المتباعدة)²¹¹ وينتج عنهما مفهومان صوتيان هما مفهوما (التآلف والتنافر) وهذان المفهومان مهمان مفيدان في الدراسات الصوتية في جميع المستويات وما تحتها، وإن كان التباعد ممدوحا كان التقارب مذموما من مبدأ التضاد. وهنا يحدث التضاد.

ظهر من النص السابق، حسن التباعد الصوتي، غير أن هناك من يذهب خلاف هذا المذهب بقوله: (إن الأصول من الألفاظ لا تحسن إلا في الثلاثي، وفي بعض الرباعي)²¹² ومن هنا يستثنى ما فوقهما مما يعرف بالخماسي والسداسي، ولكن هناك شيئا ينبغي أن يراعى وهو علاقة المبنى بالمعنى، وذهب بعض

²¹¹ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص، 54، إعداد، عبد المتعال الصعيدي، مط،

محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ط، 1، 1969م

²¹² - ضياء الدين بن الأثير، المثل الاثر في أدب الكاتب والشاعر، ص، 265، إعداد،

أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مط، نهضة مصر، ط، 1، 1959م

الدارسين إلى أن كل زيادة في المبنى يقابلها زيادة في المعنى،²¹³ وفي كتاب فتح اللطيف حديث مطول عن الزيادة والزوائد والفائدة منها.

وحروف الزيادة جمعها المختصون في عشرة تحت منطوقات مختلفة أشهرها (سألتمونيها) ومن هذه النظرة تصبح الزيادة مطلبا في تحقيق التخفيف والانسجام، وأخيرا الاقتصاد في الجهد المبذول وزمن الإنجاز.

في علاقة المبنى بالمعنى

ذهب القدماء اللغويين العرب إلى أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، وقد تحظ على هذا لتوجه بعض المحدثين والمعاصرين.²¹⁴ "وحتتهم في ذلك، أن صيغة (خرج) — على سبيل المثال — فعل لازم، ويتحول إلى فعل متعد بالزيادة في مثل أخرج، أو التضعيف في مثل خرج.

وهنا تنطبق المقولة السابقة التي تقول: كل زيادة في المبنى يترتب عليها زيادة في المعنى، ولكن في صيغة (ضرب) — على سبيل المثال — أيضا — فعل متعد إلى مفعول، وزيادة الهمزة عليه كما فعلنا في صيغة (أخرج من خرج) ونقول أضرب في ضرب يوقع أن يصير متعديا على فاعلين، ولكنه عند الزيادة يصبح لازما فيقال: (أضرب عن كذا) وليس له مفعول من هنا تضحى القاعدة السابق ذكرها، غير عامة ولا مطردة على ما يبتغيه اللغويون.

²¹³ - تحفظ مكي درار على هذا التوجه، ورده بقوله: إن بعض المباني الثلاثية مجردة متعدية، في مثل (ضرب) والزيادة فيها تنقلها إلى اللزوم في مثل (أضرب)

²¹⁴ - من هؤلاء، مكي درار، في كتابه: المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ط1، ص67.

وفي فتح اللطيف، جاء الزموري بصيغ عديدة مزيدة، وكان في ذلك شارحا للمتن، ولكنه قدم هذه النماذج المزيدة ولم يعقب عليها بالحسن أو القبح، فكان منهجه وصفيًا محضًا؛ وذهب غيره إلى أن (من أوصاف الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً)²¹⁵ وأقل أوزان الربية ثلاثة أحرف، وما زيد عن الثلاثة يكون من أجل زيادة المعنى مما ذكرناه من قبل.

لكن طول المفردة بعدد مكوناتها غير متفق عليه لاقبحا ولا حسنا فمن الدارسين من استقبحه منهم من استحسنه. ولكن المرجح المستحب هو الثلاثي لقولهم: (إن الأصول من الألفاظ لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي)²¹⁶ وقد ثبت هذا في متن فتح اللطيف في قول صاحبه:

ومنتهى الفعل بأصل أربع وبالزيادة لست ترفع²¹⁷

وهنا يتحدث صاحب المتن على أصول المباني الحديثة وهي أصلا عندهم (ثلاثي ورباعي)، ويظهر أن هذا التقسيم أو التصنيف ليس منطقيا لأن الأصل لا يتعدد للفرع الواحد، وإذا كان للفعل أصلا (ثلاثي ورباعي) فأيهما أصل الآخر؟ أما الشيخ الزموري فقد اعتمد (في الأسماء) الخماسي، شارحا للمتن في قول صاحبه.

ومنتهى الأسماء بالأصالة خمس من الحروف لامحالة²¹⁸

وقد تصل مكونات الاسم والصفة إلى سبعة مكونات كقوله:

215 - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص، 264.

216 - نفسه، ص، 265.

217 - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص، 56

218 - فتح اللطيف، ص، 55،

وبالزيادة لسبعة تصل كقولك احميرار ثوب المحتفل²¹⁹

وهذه الصيغة بالذات قد أوردناها في حديث الذوات، وأبدينا الرأي فيها، وقد تبين هناك أنها مصدر، ومن هناك أيضا تكون أقرب للأوصاف من الذوات، ومن هذا المنظور أعدنا ذكرها هنا. ولكن المتبقى المحتاج إلى وقفة ورأي هو مفهوم العدد في المتن والشرح.

ففي الأفعال الأصول عنده أربعة صوامت، وبالإضافة تصل إلى ستة. لقوله (وبالإضافة لست ترفع)²²⁰ ولكن الأصل الشائع في الأفعال أنها ثلاثية. ولم يتضح رأي الشيخ فيها هنا. وبالإضافة تصل مكونات الفعل إلى ستة ومعنى هذا أن الزيادة متساوية مع الأصول وهذا غير مقبول لأنه إذا تساوى عدد الأفروع مع الأصول اختفت اختلطت الأصول بالفروع.

وفي هذه الزيادة قال الشيخ الزموري. مانصه: (يرفع الفعل بالزيادة، لست من الحروف كاستخرج واحرنجم)²²¹ وهنا تقوم مشكلة، مردها تحديد وظيفة الزيادة. أهى في المبنى أم في المعنى أم فيهما معا؟ ومن المعلوم، أن حروف الزيادة عشرة جمعوها في عبارة (سألتمونيها) وهذه الحروف مع ثلاثة أخرى هي الباء والكاف والفاء المجموعة في عبارة (بكف) تسمى حروف المعاني ويصير عدد حروف المعاني ثلاثة عشر حرفا²²² وحروف الزيادة هي حروف المعاني.

219 - نفسه، ص، 56

220 - نفسه، ص، 56.

221 - نفسه، ص، 56

222 - ينظر مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص، 41.

ومن المعروف أيضا، أن همزة الوصل تثبت في البداية وتسقط في
الدرج "224" وينتهي هذا الحديث، إلى أن منتهى الفعل خماسي في مثل:
(استخرج واحرّج) "225" بسقوط همزة الوصل من الحساب. والاسم والوصف
يصير سداسيا وهو الشاهد في قوله: (احميرار) "226" فهو سباعي بهمزة الوصل،
وهي ليست هنا من أصل البناء، وإنما جيئ بها للضرورة. ونعود إلى جدول
الأوصاف.

الجنس		العدد			النوع						المدركا			الإعراب			التمك		
الذكور	المؤنث	مفرد	مثنى	جمع	انسان	حيوان	نبات	جماد	شئ	حقيقه	تصريف	رفع	نصب	جر	تعريف	تنكير			
3	1	7	1	9	0	8	5	3	7	2	5	3	3	6	7	2	4	7	5

226 - نفسه، ص، 56.

1	2	3	2	1	1	2	2	4	5	3	1	2		1	1	2	
---	---	---	---	---	---	---	---	---	---	---	---	---	--	---	---	---	--

مع مكونات الجدول

مجموع الأوصاف التي ذكرها الزموري هي مائة واثنان، يتصدرها المذكر في الجنس، والمفرد في العدد، والإنسان في النوع، والتصوري في المدركات، والمرفوع في الإعراب، والتمكين في المعارف.

أما من حيث البناء والتشكيل فالثلاثي أقل من غيره ذكرا في المتن ومنثم قل ذكره في الشرح، وما عمد إليه صاحب المتن والشرح هي أوصاف معلومة معهودة في مجملها، مشتقة في معظمها، ومن هنا كن منحاهما تعليميا، وإن جاء ببعض المفردات غريبة عنا في مثل (قذعمل وغلبط) للجسم الضخم²²⁷ و(قندأو) للرجل الخفيف²²⁸ فإن في هذه الأوصاف تركيبات صوتية موحية لافتة يستدعي الانتباه والحفظ والتذكر.

ومن غير هذه، جاءت أوصاف عديدة خفيفة معروفة في مثل: (عدل، حذاق، حسن، إحسان)،²²⁹ وبالنظر على رتب الكائنات في جدول الصفات، نجد أعلى رقم للتكثير بخمس وتسعين مرة. ومن بعده المفرد بأربع وتسعين مرة، وهذا يعني أن صاحب المتن والشارح معا، يقدمان مادة سهلة مفهومة واضحة للمتعلم. فمن حيث العدد كان المذكر ومن حيث النوع شاع الإنسان، ومن حيث الإعراب علب التكثير لما فيه من نغم ورنين. كل في تشكيلات متناسقة

227 - فتح اللطيف، 63 و64

228 - نفسه، 134

229 - فتح اللطيف، ص، 130.

تشكيلات المباني الوصفية

تقدم الحديث عن عدد مكونات الأفراد، وقد ظهر هناك خلاف بين المهتمين في نوعها وعددها، وفي تجاورها؛ وكان الرأي المرجح السائد، أنها ثلاثة؛ كما تبين أن أحسن تشكيل هو ما اعتدلت مكوناته، فلا هي متقاربة كل التقارب، ولا هي متباعدة كل التباعد، وكانت الوسطية مطلب الجميع. وفي ما جاء به صاحبها المتن والشرح، فيه جانب من الاتفاق وآخر من الاختلاف، نقف عنده لاحقا.

لقد سجلنا كل مفردات الوصف عند الشيخ الزموري —————
كما فعلنا بالحدثيات والذاتيات من قبل ————— وجمعناها في جدول
تقدم عرضه، وفيه ظهر أن الغالب هو الثلاثي والرباعي؛ وإن كان صاحب المتن
أشار إلى السباعي، وتبعه في ذلك الشارح، فإن الوقوف عند هذه التشكيلات
يوحي بشيء شبه خفي، وهو مع كثرة العناصر المكونة يشعر الناطق بالثقل، إلا
أن ما جاء به الشارح من رباعيات في مثل: صيهم وهي صفة للغليظ
الضخم²³⁰ وكفكف²³¹ وغيرها، ومن خماسيات في مثل: جحمرش،
للعجوز المسنة²³² وسداسيات في مثل اسحنكك الليل إذا اسودت ظلمته
واشتدت²³³. فيها إيجاء بأصواتها على معانيها. ومن دلالاتها (الصيرورة
والطلب)²³⁴ وهما معا مطلبان اجتماعيان فاعلان في حياة الإنسان وحاجاته.

230 - فتح اللطيف، ص، 145

231 - نفسه، ص، 263

232 - نفسه، ص، 64

233 - نفسه، ص، 133

234 - راجي الأسمر، المعجم المفصل في علم الصرف، ص، 575، مراجعة إميل بديع، مط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1، 1997م.

ومن جهة أخرى، تعد هذه التراكيب سهلة مع كثرة عناصرها، وذلك لخفة أوزانها، التي جاءت على ميزان افعلل، واستفعل، ومستفعلن، وأمثلتها مألوفة في موازين المنظوم والمنثور. فصيغة افعلل التي من قياسها استحسن، واستسلم، واستبصر، واستفتح، وجميع عناصرها متألفة، وموازينها مألوفة، ومعانيها مستوحاة من كمياتها الصوتية.

كما أن هذه التركيبة الصوتية، تتعدد موازينها وتنوع، فهي عند الصرفيين (افعلل واستفعل) وعند العروضيين (مستفعل) و(متفاعل) وتقطيعها اللغوي هو (صعص، صعص، صعصع) ثلاثة مقاطع موازنة الإيقاع، والتكافؤ والتوازن والتناسق مطلب لغوي لساني، مال إليه القدماء وقصده المحدثون والمعاصرون.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة الشيقة، مع كتاب "فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف"، و التحليل المفيد لمحتواه توصلنا إلى النتائج الآتية:

يعد كتاب فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف من أهم المراجع في مجال التصريف لما احتواه من دروس في مظانه، و انه لمؤلف قيم أضيف لعلم التصريف. حين نجد الزموري يبسط علم التصريف للرواد من طلاب و أساتذة و باحثين. فقد قدم المواضيع بشكل بسيط و بأمثلة بسيطة مفهومة تُسهل عملية الإدراك، و إننا لنجده يشرح المتن شرحا مجملا شاملا بسيطا. لمنظومة المكودي في التصريف، حين نجده يحفظها و يحفظ شرحها الذي تلقاه من أستاذه، باعتبار أن المتن استوفى الكثير من المسائل التصريفية التي جعلت الزموري يقرر خدمة فن التصريف بشرحه هذا.

فالزموري لم يتجاوز في شرحه للمتن الموضوعات التي تطرق إليها المكودي. فقد اعتمد على الإجمال في شرحه ثم التفصيل فالإجمال كان في مرحلة البسط و

التفصيل في مرحلة التعريف. و تعامله مع الموضوعات لم يكن عادلا حين أكثر

الحديث في بعض

الموضوعات كالزيادة، و قل الحديث في موضوعات أخرى كالإبدال و الإعلال

.

اعتمد الزموري في شرحه طريقة مخالفة لغيره من الشراح مواتية للمتن مكملة له،

فقد قسم المواضيع لقسمين قسم البسط شرح فيه المواضيع شرحا شاملا مراعي

فيه المتن، و قسما آخر سماه التعريف بتعريف المواضيع كما جاء في المتن بشرحه

مفردات المتن لا أكثر و لا أقل.

اجتهد الزموري في تحديد مفهوم التصريف ، كان ييدي آراءه في المسائل

المختلف فيها. كما كانت له إحاطة بمختلف علوم اللغة العربية ،و الدليل

خوضه في المسائل الإعرابية، و البيانية، و العروضية.

و في تحليلي لمفردات الكتاب توصلت إلى أن المباني الافرادية الأصلية هي الصيغة
الحدثية والذاتية و الوصفية و لكل صيغة مبناها و معناها.

استخرجت للدرس اللغوي الصوتي في بناء الصيغة الحدثية أربع معالم و مرتكزات
هي: المادة و الوزن والشكل و المعنى، هذه التلوينات و التشكيلات تدخل في
إنشاء الصيغة الحدثية و تنويعها.مع أن الزموري لم يوضح القول فيها.

اعتمد الزموري على أمثلة من متن المكودي ، و الحدثية منها أحصيتها في ثمانية و
سبعين صيغة حدثية كان للثلاثي الغلبة لتوافقه و التقطيع اللغوي. و مما نتحفظ
عليه أن الزموري التزم بالشرح للكائنات الافرادي دون تحليله لها.

التوابع ظاهرة صوتية، تأتي لتثبيت المعنى. أما الإلتباع مجرد زيادات في الكميات
الصوتية من اجل التأكيد. فالمعنى متقارب في تأكيد الشكل و المعنى . وان التوابع
تلازم موصوفاتها في المعاني أكثر منها في المباني.

الأصل المرتكز عليه في صفات فتح اللطيف هي الذوات لتأتي بعدها الصفات أين كانت الغلبة للإنسان باعتباره كتاب تعليمي يوظف أمثلة في متناول المتعلم. فالذوات احتلت صدارة العدد و الترتيب. و الملاحظ أيضا أن الذوات الإنسانية تفوقت عن غيرها من باقي الذوات، ذلك لأنها جميعا خلقت لتخدم الإنسان.

الزموري امتثل بالصفة بانعزال عن الموصوف، وكان يجمع عدة صفات متتالية بمعزل عن موصوفاتها وهذا لم يعب الشرح لأنه كتاب تعليمي يستحق التمثيل بعيدا عن القاعدة. ما أسميناه بالغريب الذي فاق المشهور. حين امتثل الشيخ بمفردات خارج نطاق الاستعمال لترك المتعلم في حيرة من هذه الأمثلة ، مع انه قدم معاني هذه المفردات. و التكرار والتركيز و التحفيظ و تحصيل، و قد كانت تغلب عليه هنا الترعة التعليمية المسجدية (الحفظ أولا).

ذكر الشيخ أمثلة مجزأة لم يعرض تركيباتها، التي يفصل التوظيف الصوتي الأمر فيها في تغليب لغة على أخرى في المثال الواحد الذي تحسم فيه الصوائت الأمر.

ذكر الزموري الكثير من الأمثلة ذات الصيغ المزیدة، في شرحه للمتن. حين وصف هذه الأوزان و ذكرها مثلما ذكرها صاحب المتن دون تعقيب أو تحليل . كما ذكر الأوزان بدءاً من الثلاثي حتى السداسي الذي يعتبر مجرد رباعي مزيد بحرفين، كان للإيجاء الصوتي دخل فيها.

تلك هي النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا، واني لا ازعم إني قد وفيت كتاب فتح اللطيف حقه من الدراسة باعتباره مرجعا مهما في علم التصريف، و أني أعطيت للدرس الصوتي حقه في الدراسة.

وختاماً أسأل الله تعالى التوفيق و السداد، و الهدى و الرشاد، وان يبارك أعمالنا، و يثبت خطانا على طريق العلم النافع، و العمل الصالح انه مجيب الدعاء.

المصادر والمراجع

-المصحف المرتل برواية ورش.

1- إبراهيم السامرائي- الفعل زمانه و أبنيته، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 2، 1980 م.

2-الأنباري- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين و البصريين والكوفيين.

3- ابن أجروم- متن الأجرومية.

4- ابن جني الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى لبنان، ط 2.

5- ابن جني، تصحيح و شرح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي- التصريف الملوكي، مطبعة شركة التمدن الصناعية مصر.

6- ابن جني، دراسة و تحقيق: حسن هندراوي - سر صناعة الإعراب، دار القلم دمشق، ط 1، 1985 م.

7- ابن الحاجب، تصحيح: عبد الرحمن خليفة - متن الشافية، مطبعة علي صبيح مصر، ط 1 .

8- ابن سنان الخفاجي- تصحيح عبد المتعال- سر الفصاحة، مطبعة محمد علي صبيح و أولاده مصر، ط 1، 1969 م

9- ابن منظور، إعداد و تصنيف: يوسف خياط- لسان العرب، دار لسان العرب بيروت.

- 10- احمد بن فارس، تحقيق: مصطفى الشوملي- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، بدران للطباعة و النشر لبنان، ط 1، 1963 م.
- 11- أحمد طاهر حسنين- الاكتمال اللغوي عند العرب، دار الفكر العربي القاهرة.
- 12- احمد مختار عمر- لغة الجنسين.
- 13- أحمد الهاشمي- المفرد العلم في رسم القلم.
- 14- ألفية ابن مالك.
- 15- بلقاسم أبو محمد- العلامة الشيخ المربي عمر أبو حفص الزموري، دار هومة الجزائر.
- 16- تمام حسان- اللغة العربية معناها و مبناها، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.
- 17- تمام حسان- مناهج البحث في اللغة. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط 1979 م.
- 18- حاجي خليفة- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان، ط 1، 2007 م.
- 19- خليل الأسعدي، تحقيق: الياس قبلان التركي- الكافية الكبرى في علم النحو، مطبعة دار صادر بيروت و مكتبة الرشاد استنبول، ط 1، 2007 م.
- 20- الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الله درويش- معجم العين، مطبعة العاني بغداد ط 1، 1967 م.

- 21- راجي الأسم، مراجعة: إميل بديع- المعجم المفصل في علم الصرف، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1997 م.
- 22- رضي الدين الأسترابادي، تحقيق: محمد نور الحسين و محمد الزفزاف و محمد محي الدين عبد الحميد- شرح الشافية. ابن الحاجب، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1 ، 1975 م.
- 23- رياض قاسم- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي لبنان، مؤسسة نوفل، ط 1 ، 1982 م.
- 24- سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون- الكتاب، مطبعة عالم الكتب بيروت لبنان، ط 1 ، 1966 م.
- 25- سيف الدين الآمدي- الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1983 م.
- 26- الشريف الجرجاني- كتاب التعريفات، مطبعة دار الندى الإسكندرية.
- 27- ضياء الدين بن الأثير، إعداد: أحمد الحوفي و بدوي طبانة - المثل الثائر في أدب الكاتب و الشاعر، مطبعة نهضة مصر، ط 1 ، 1959 م.
- 28- عبد الحميد رشواني- دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دمشق، ط 1 ، 1996 م.

29- عبد الحميد مصطفى السيد- المغني في علم الصرف، دار الأمل الأردن، ط 1، 1998 م.

30- عبد القادر عبد الجليل- علم الصرف الصوتي.

31- عبد القادر عبد الجليل- علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط 1، 2002 م.

32- علي الجرم و مصطفى أمين- البلاغة الواضحة.

33- عمر الزموري -ابواب الجنان و فيض الرحمن ، دار الهدى الجزائر.

34- عمر بن أبي حفص الزموري، إعداد: مهري المولود- فتح اللطيف في التصريف على البسط و التعريف، مطبعة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1991 م.

35- لويس معلوف- المنجد في اللغة و الأدب و العلوم.

36- المجموع الكامل للمتون ،مطبعة دار المعرفة المغرب الأقصى.

37- محمد الانطاكي- الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق بيروت، ط 3.

38- محمد بن إسماعيلي- مشايخ خالدون و علماء عاملون، دار الهدى الجزائر.

39- محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي- معجم الشامل في غلوم اللغة العربية ومصطلحاتها، مطبعة العودة بيروت لبنان، ط 1، 1981 م.

- 40- محمد سمير اللبدي- معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 2، 1986 م.
- 41- محمد مبارك- في فقه اللغة، عن انستاس الكرمللي.
- 42- محمد محي الدين عبد الحميد- التحفة السنية بشرح الأجرومية، مطبعة الإمام مالك، 2004 م.
- 43- محمد مرسي جهادي- مقالة التنوين.
- 44- محمد الواسطي- ظارة البديع عند الشعراء المحدثين دراسة بلاغية نقدية، مطبعة دار نشر المعرفة الرباط المغرب الأقصى ط 1، 2003 م.
- 45- محمود السعران- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي القاهرة.
- 46- مصطفى صادق الرافعي- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- 47- مصطفى الغلاييني، مراجعة و تنقيح: عبد المنعم خفاجة و عبد العزيز سيد الأهل- جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية بيروت ، ط 16، 1983 م.
- 48- المكودي- متن البسط.
- 49- مكّي درار- الحروف العربية و تبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط 1، 2007 م.
- 50- مكّي درار- المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب وهران، ط 2 ، 2006 م.

- 51-مكي درار و سعاد بسناسي- المقررات الصوتية في البرامج
الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية، دار الأديب وهران،
ط 1 ، 2005 م.
- 52-مكي درار- الوظائف الصوتية و الدلالية للصوائت العربية.
- 53-مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، منشورات
المكتبة العصرية بيروت، ط 1، 1964 م.

الدوريات المحكمة

- 54- مجلة الأصالة، 1967 م.

المخطوطات الجامعية

- 55- بوداود إبراهيمي- القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في
التراث، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2007م.
- 56- رفاس سميرة- الملامح الدلالية رسالة ماجستير، جامعة وهران.
- 57- سعاد بسناسي- التحولات المورفولوجية و التركيبية في ضوء
الدراسات الصوتية.

58- غانم خيرة- مدارج التصريف في فتح اللطيف، رسالة ماجستير،
جامعة وهران.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحات
مقدمة.....	أ.
مدخل تمهيدي.....	02
صوتيات التصريف.....	02
بين الصرف والتصريف.....	05
الزموري.....	08
مولده.....	10
رحلاته.....	10
وفاته.....	13
آثاره.....	13
كتاب فتح الطيف.....	14
غايته من التأليف.....	15
محتوى كتاب فتح اللطيف.....	16
تقسيمات الكتاب.....	17
في الاستعمال.....	21

الفصل الأول في الصيغة الحديثة

الصيغة الحديثة.....	26
مع المفاهيم.....	26
خلاصة عددية للحديثيات.....	30
مكونات الجدول.....	31
ما دون الاكتمال.....	35
مزيد الثلاثي.....	37
في الإضافات.....	39
الميزان الصرفي.....	41

42	 المفردة في الميزان
44	 بين التوزيع والتنويع
45	 خطاطة توضيحية
45	 تعقيب على الرسم
46	 مبدأ التوزيع
46	 مبدأ التنويع
50	 التحليل الصوتي
51	 الشكل
52	 التفخيم
51	 شواهد الإثبات
53	 مع الأبيات
53	 مع الأبيات
54	 التحليل الصوتي لظاهرة الإبدال
58	 الترقيق
60	 وظيفة المكونات
60	 وظيفة الصوامت
61	 الصوامت الأصول
62	 وظيفة الصوائت

الفصل الثاني في الصيغة الذاتية

65	 تصدير
65	 مفهوم الصيغة الذاتية
67	 الانتظام والاتساق
68	 مع المفاهيم
69	 الجدول العددي
69	 مكونات الجدول
70	 محتويات الوديان
73	 المادة
76	 جدول التلوينات الصوتية للثلاثي
76	 مع مكونات الجدول
78	 مكونات الصيغ الرباعية
80	 جدول تشكيلات الرباعي
80	 وقفة عند الجدول
81	 تشكيلات الخماسي
83	 جدول الخماسي
83	 مع مكونات الجدول

84	جدول صوائت الصيغ
84	الجدول النوعي.....
85	محتويات الجدول.....
87	التصور.....
89	صوتيات الجدول.....
90	جدول العلامات.....
90	مكونات الجدول.....
93	في تعاقب العلامات.....
94	وظيفة التنوين.....
94	التمكين.....
98	في التعليل الصوتي
98	في التناسب.....
99	العلة والتعليل.....
100	في تراجع التقعيد.....
102	في الكمية والطاقة.....

الفصل الثالث

في

الصيغة الوصفية

104	الأوصاف.....
104	تصدير.....
106	جدول الموصوفات.....
107	مع مكونات الجدول.....
108	العلامة الإعرابية.....
109	جدول المباني الإفرادية.....
109	مع محتويات الجدول.....
111	الجدول النوعي للمباني الذاتية.....
111	مع مكونات الجدول.....
117	المدركات.....
118	الإعراب.....
123	في علاقة المبنى بالمعنى.....
127	الجدول التفصيلي.....

127	 مع مكونات الجدول
128	 تشكلات المباني الوصفية
131	 نتائج البحث
136	 قائمة المصادر والمراجع
144	 فهرس الموضوعات